ذكريات عن
سعيد النورسي

ترجمة : أسيد إحسان قاسم

مركز الكتاب للنشر

obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة

مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٩٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٢٩٨

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

﴿ ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ ﴾

لا اخفي ما اشعر به من سعادة وانشراح من اعماق روحي وانا اكتب هذه الكلمات القصيرة لهذه الذكريات الجميلة، وهي باكورة اعمال ولدي الحبيب... فالحمد لله اولاً وآخراً.

ولئن تعذر في زماننا هذا مصاحبة الصالحين لندرتهم او لصعوبة الوصول اليهم والتشرف بين ايديهم، فلتكن مجالستهم والعيش معهم في ذكرياتهم العطرة: فهم القوم لايشقى جليسهم، وقديماً قيل: وخير جليس في الزمان كتاب.

وعلى الرغم من اهمية هذه الذكريات التي تعرض جوانب من الحياة اليومية ومواجهة الاحداث – قد لاتسجلها كتب التراجم المألوفة – الا أنها غيض من فيض، وباقة زهر اقتطفت من بستان اينع بجهود الباحث التركي والمؤرخ الشاب « نجم الدين شاهين ار » حيث قضى اكثر من عشر سنوات متواليات – وما يزال – في جهد متواصل وبحث دؤوب وتجوال مستمر، مستخدماً كل مايستطيع من اساليب علمية وطرائق فنية.. لجمع شتات الذكريات وشوارد الخواطر حول الاستاذ النورسي.

فما ترك مدينة او قرية في مختلف انحاء تركيا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً الا ورحل اليها مترجلاً او على ظهر دابة او داخل سيارة مما يذكرنا بصدق السلف الصالح وهمتهم في طلب العلم فلا تراه الا حيث يطرق سمعه ان هناك من

شاهد النورسي او عاش معه او يتذكر عنه موقفاً من مواقفه ولقطة من لقطات حياته.

فنشر لحد الآن – وبالمنهج العلمي المعزز بالادلة والبراهين – شهادة احد عشر ومئة شاهد حي يرزق في خمس مجلدات وسماه:

(Son Şahitler Bediuzzaman Said Nursiyi Anlatiyor)

اي: الشهود الاواخر يعرفون سعيد النورسي.

وقام كذلك ببحث ميداني لمعرفة وجهة نظر اكثر من (مئة) من المفكرين في تركيا من اساتذة وعسكريين وصحفيين وعلماء ومسؤولين واجرى معهم لقاءات وسجل اجوبتهم الايجابية والسلبية على السواء بأمانة واخلاص ونشرها في مجلد واحد سماه:

(Aydinlar B. S.Nursiyi Konuşuyurlar)

اي: المفكرون يتحدثون عن سعيد النورسي.

فضلاً عن انه اصدر كتاباً خاصاً مستقلاً في (٤٦٠) صفحة حول حياة الاستاذ النورسي بتسلسلها التاريخي منذ ميلاده حتى يوم وفاته، واغناه بوثائق تاريخية وشهادات شهود لازالوا على قيد الحياة وسماه:

(Bilinmeyen Taraflariyla Bediuzzaman Said Nursi)

اي: سعيد النورسي وجوانبه المجهولة.

وما تزال حياة هذا الرجل العظيم تنتظر مزيداً من الدراسات والبحوث والقراءات بحيث لاتكاد تقف عند حد معين فهي – والحق يقال – حياة حافلة غنية تمتد آثارها الى اجيال واجيال، مثلها كمثل حياة كبار رجال الفكر والدعوة في الاسلام.

ويتضمن هذا الكتاب – الذي هو بين يديك – فصولاً متنوعة مثيرة حول بعض جوانب من حياة الاستاذ النورسي حسب تواجده وتنقلاته في المناطق

المختلفة من بلاده تركيا ابتداء من مدينة «وان» سنة ١٩٢٣ وانتهاء الى مدينة «اورفة» سنة ١٩٦٠ ومابين هاتين المدينتين من مدن اقامته ومنفاه من «بارلا» و«اسپارطة» و«قسطموني» و «اميرداغ»... واخرى غيرها، وهي مناطق حافلة بالذكريات والاحداث مع طلابه ومعارفه والناس من شتى المستويات الثقافية والاجتماعية والمهنية، مما يدل دلالة كبيرة على مدى ابعاد حركته وعمق شخصيته ودوره الفعال في مجتمعه والتأثير عليه بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

وتمشياً مع روح الكتاب فقد جاءت الصور تضفي لوناً بهيجاً على جماله وسعة معلوماته، ولعل الفصل الاخير (الرحيل) اعطى الكتاب مشهداً رائعاً متمماً ووحدة متناسقة مع لوحات الفصول الاخرى، وكشف للقارئ الكريم معلومات قيمة قد تكون خافية عليه او كانت قليلة لم تكن تشفي غليله مبثوثة هنا وهناك.

وفي الوقت الذي نبارك هذا الجهد المتواضع والجدول الرقراق من ذلك النهر الهادر من الذكريات، نسأله تعالى ان يوفق الى المزيد منه فتتوالى امثالها من الذكريات عن حياة الاستاذ النورسي المليئة بالدروس والعبر والحكم حتى تستكمل – باذن الله – معظم جوانبها او اكثرها بما يوفي ويشفي.

هذا ولم يكن حظي في مراجعة هذه الذكريات سوى الهوامش مع المقدمات المقتضبة للفصول: وما يستوجب الكتاب من تشذيب او تقديم وتأخير لبعض الجمل والفقرات.

والله نسأل ان يوفقنا الى حسن القصد وصحة الفهم وصواب القول وسداد العمل.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

احسان قاسم الصالحي

* * *

ملاحظة

ان كل شهادة من الشهادات الواردة في هذه الذكريات حول مسألة معينة، انما تمثل طرفاً من شهادات كثيرة حولها، لم ندرج جميعها خشية التكرار. ولايخفى على القارئ الكريم انه مثلما الشهود احرار في ادلاء ما شاهدوه فعلاً فهو حر كذلك في قبول شهاداتهم، وحسبنا ان نعلم انهم صادقون فيما يروونه من احداث. ثم ان هذه الذكريات بمجموعها تتناول جانباً معيناً من جوانب حياة الاستاذ النورسي، نرجو ان يعيننا القارئ الكريم بدعائه الخالص ليوفقنا المولى الى ابراز جوانب اخرى من حياة هذا الرجل القرآني في كتب ملحقة.

اسيد

ذكريات

من «وان»

مدينة «وان» مدينة تأريخية عريقة، تقع شرقي تركيا على ضفاف اكبر بحيرة فيها وهي بحيرة «وان» هذه المدينة حافلة بالذكريات عن الاستاذ النورسي، حيث مسقط رأسه قريب منها «في قرية نورس» وحيث انه قضى فيها خمس عشرة سنة من عمره: طالباً للعلم، ثم عالماً يناظر العلماء، ثم مجاهداً يقود صفوف الانصار في الحرب العالمية الاولى، ومن بعدها زاهداً متعبداً في جبل «أرك» القريب من مدينة «وان».

فالفترة ١٩٢٣ – ١٩٢٥ من حياة الاستاذ النورسي التي قضاها منعزلاً عن الناس في جبل أرك، تعتبر المنعطف الاساس في افكاره واسلوب عمله في خدمة الاسلام: اذ تعد هذه الفترة فترة تحوله الى «سعيد الجديد» – كما سمى نفسه به – الذي اعتزل السياسة ونذر نفسه للايمان وحده، بعد ان خبر السياسة ودخل دهاليزها وصراعاتها طوال فترة حياته الاولى «سعيد القديم».

ونحن هنا نقتطف من ذكريات «ملاحميد» الذي لازم الاستاذ النورسي في جبل أرك، وفي جامع «نورشين» داخل مدينة «وان».. هذا الشاب الذي خدم استاذه باخلاص دون ان ينتظر شيئاً منه، شملته بركة مجالسة الصالحين وخدمة العلماء العاملين؛ اذ اصبح من العلماء الذين يشار اليهم بالبنان في تلك المنطقة بعد ان كان لايجيد القراءة والكتابة.

• تسبيحات الاستاذ

« كنت انشرح كثيراً عندما أصلي مقتدياً بالاستاذ، كان قيامه للصلاة يزيد الانسان رهبة وخشوعاً. وكان يرشدنا الى ان التسبيحات والاذكار عقب الصلاة انما هي بحكم نوى للصلاة وبذورها(١) وكان يسبّح ويذكر الله بصوت رخيم حزين، فعندما يقول (سبحان الله.. سبحان الله) كنا نسمعه يصدر على مهل من اعماق اعماق قلبه.

انني شخصياً لم أرَ مثل الاستاذ قط مَن يصلي ثم يسبح بهذا الخشوع والحزن، مع انني رأيت كثيراً من الشيوخ والعلماء.

وعندما كان يقول: « لا اله الاّ الله » ويبدأ بالتسبيحات ويستمر بها يصبح صوته كفرقعة المدافع في قوته وشدته، فلو كان عنده شخص من اهل الطريقة الصوفية اذن لأخذته الجذبة والشوق!»(٢).

• شاركني في الدعاء

« كان يقوم لصلاة التهجد كل ليلة. وكنت احياناً اراه وهو يصلي فلا استطيع النوم. وعندما كان يراني مستيقظاً يقول لي:

– ما دمت مستيقظاً فتعال وشاركني في الدعاء.

ولكني كنت اجهل قراءة اي دعاء، فكان يقول لي:

– سأدعو أنا وردّد انت بعدي: آمين، فانا ادعو بدعاء سيدنا يونس عليه السلام (٣) وبدعاء أويس القرني (٤) واطرق باب رحمة الله بهما.

---

(١) يفصل الاستاذ النورسي معنى هذه العبارة في الكلمة التاسعة.

(٢) Son Şahitler ١١٨/١

(٣) المقصود الآية الكريمة: ﴿ **لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين** ﴾.

(٤) هذا الدعاء موجود في اغلب كتب الادعية، وقد اورده الاستاذ النورسي ضمن كتاب (حزب انوار الحقائق النورية) ويستهل الدعاء بـ« الهي انت ربي وانا العبد وانت الخالق وانا المخلوق... ».

وكنت اغفو احياناً اثناء الدعاء فكان ينظر اليّ ويقول:

– لقد كنتُ انا ايضاً مثلك.. ولكنك ستتعود»[٥].

• لاراحة بعد اليوم

«عندما كان ينشغل الاستاذ بعباداته وتضرعاته ومناجاته كان يجلس جلسة التشهد في الصلاة، وكان يطيل هذا النوع من الجلوس ساعات طوالا، حتى أنه من جراء هذا الجلوس تقرحت اصبع قدمه.

فذات يوم طلب من أحد طلابه وهو – ملا رسول – [٦] مرهماً لمداواة اصبعه، الذي كان منهمكاً في ايقاد الحطب واشعاله في الموقد. فالتفت اليه ملا رسول قائلاً:

– ونحن ايضاً نخشى الله ونخافه يا استاذنا، ولكنك ترتعد من خشيتك حتى تكاد مرارتك تنفجر. فلو كنت تجلس مطمئناً مثلنا لما تقرحت اصبعك!

– ملا رسول! ملا رسول! لقد جئنا الى هنا لكي نظفر بحياة ابدية خالدة، بهذا العمر القصير والدنيا القصيرة. أأعيش هنا كيفما أشاء ثم أدّعي الجنة وأطلبها.. لايجوز هذا ابداً...! فلا أجرأ على العيش كما اهوى!

كان الاستاذ يقول هذا وملا رسول يضع المرهم على الجرح أملا بالشفاء»[٧].

• كيف كان يقضي اوقاته

«على جوانب نبع (الزرنباد) الصافي القريب من جبل (أرك) تتكاثف الاشجار وتلتف اغصانها وتتشابك، صنعنا للاستاذ ما يشبه منصة خشبية كي

---

(٥) Bilinmeyen Taraflarıyla ١/ ٢٤٧.

(٦) وهو عالم جليل في مدينة «وان» تتلمذ على يد الاستاذ النورسي رغم انه يكبره سناً.

(٧) Son Şahitler ١/ ١٢٤.

يجلس عليها فوق الشجر. اما نحن فكنا نجلس على الارض تحت ظلال الاشجار.

كان الاستاذ لايصرف وقته سدى قط، فلا اراه الا قائماً يصلي او داعياً متضرعاً او مسبحاً ذاكراً او متأملاً في ملكوت السموات والارض، فهو حتماً منشغل بشغل يهمه.

وحينما يزوره الاصدقاء كان يكلمهم، ويأخذ معهم باطراف الحديث، واول ما يبادرهم بالسؤال:

– هل من مسجد في قريتكم؟ وأي درس يدرّسه أئمة المساجد؟ فاذا اجابه الزائر بانه ليس لديهم مسجد ولامعلم يعلمهم كان يتألم كثيراً ويحزن. ويعجب من امرهم كيف يعيشون في مكان ليس فيه مسجد ولا مرشد؟!

وكان يغضب كثيراً من الغيبة والكذب ولايسمح – باي حال – لأحد ان يغتاب احداً عنده»(٨).

• الارزاق في المزارع

«كان جبل ارك وما حوله من الجبال مكسوة باشجار التفاح البرية حيث كانت مزارع ربانية لادخل ليد الانسان فيها. فعندما كنا نريد ان نقطف من هذه الاشجار تفاحاً كان الاستاذ لايرضى بذلك ويقول:

– ان حصتنا من التفاح هي من البساتين والحدائق، فالرزاق الحكيم يرزقنا من تلك المزارع. اما الفواكه الموجودة هنا فهي ارزاق الحيوانات البرية. فيجب ان لانتعدى على ارزاق هذه الحيوانات.

---

(٨) Son Şahitler ١/١٢٢.

وكان يقول ايضاً عندما تذبح ذبيحة:

ضعوا مالا تحتاجونه من اللحم في موضع كي تأكله الحيوانات»[٩].

• مم تخاف؟

عندما كنا في جبل (أرك) أتى بضعة اشخاص لزيارة الاستاذ وحيث انهم كانوا ضيوفاً عليه فقد رغبوا في المبيت عنده تلك الليلة. فقال لي الاستاذ:

اذهب الى هذه القرية القريبة واجلب فراشاً ومناماً للضيوف.

كنت – قبل ان اذهب – خائفاً من حيوانات مفترسة، فكنت افكر ماذا افعل اذا ما هاجمتني الحيوانات. خرجت من عنده وقطعت غصناً من شجرة الصفصاف كي ادافع به عن نفسي. فلمحني الاستاذ في هذه الاثناء وقال:

– لمَ لم تذهب بعد؟

فأجبته بانني استعد واتهيأ للذهاب وأتسلح، فأبتسم وقال:

– استح ... استح! مم تخاف؟ فلديك عصاً وحجارة فلمَ الخوف؟! اذهب فالكلاب لاتؤذيك. فاطمأننت بقول الاستاذ ورميت ما في يدي، وفارقت المنطقة بكل ثقة متوجهاً نحو القرية. فعندما اقتربت منها رأيت قطعاناً من الاغنام تحيط بها اعداد كبيرة من الكلاب الضخمة، وكان هناك كلب ضخم على الطريق الذي يجب عليّ ان أسلكه، كان من الصعب جداً المرور من هناك. ولكن لما اقتربت منه اذا به ينهض ويتمطى قليلاً ثم ينزاح جانباً كأنه يفسح لي الطريق. كان الراعي يراقبني بوجل من بعيد! وحينما دخلت القرية وجدت جماعة من الشباب والرجال وفي ايديهم عصي للدفاع بها عن

---

(٩) Son Şahitler ١/١١٦.

انفسهم. فسألوني من اين اتيت واي طريق سلكت؟ ولما عرفوا طريقي اخذتهم الدهشة عن كيفية مروري بين القطيع، فقالوا:

– مع اننا رعاة وفي ايدينا اسلحتنا لم نستطع الاقتراب من القطيع، فهؤلاء الرعاة يرضعون كلابهم حليب الاغنام، كي تدافع عنها من الذئاب. فكيف فسحوا لك المجال وسمحوا لك بالمرور؟

فأفهمتهم بان الاستاذ نفسه هو الذي ارسلني. فقالوا:

– من ذا لايعترف بولاية الاستاذ وكراماته! اننا نشك بايمان من لايعترف بولايته!. ومن ثم اخذت الفراش ورجعت الى الاستاذ فأستقبلني قائلا:

– هل مسّك الكلاب بسوء؟

فقلت : لم تقترب مني والحمد لله.

قال:– نعم كن شجاعاً هكذا ولاتخف»(١٠).

• لم يؤذ حتى النملة

«بدأ الجو يبرد شيئاً فشيئاً حيث الشتاء مقبل ونحن لازلنا على جبل أرك، كنا نتوقع هطول امطار غزيرة وتساقط الثلوج بكثرة وكان المكان الذي نبقى فيه هو على شكل ربوة او مرتفع صغير، فاراد الاستاذ ان نبني غرفة. فبدأنا ببناء الغرفة على هذا المرتفع، وعندما حفرنا الاساس وجدنا مملكة للنمل، ولما رأى الاستاذ النمل لم يقبل بالحفر في المكان. فسألناه عن السبب. قال:

– هل يجوز بناء بيت بهدم بيت آخر؟ لاتخربوا بيوت هذه الحيوانات. احفروا في مكان آخر غيره.

---

(١٠) Son Şahitler ١/١٢١.

فبدأنا نحفر في مكان آخر فوجدنا مملكة اخرى ايضاً للنمل. وحفرنا ثالثة فوجدنا نفس الشئ. وهكذا تكررت العملية ثلاث مرات. فسألني أحد الطلاب الذي كان يساعدني في هذا العمل:

– هل سيستمر الامر هكذا؟ علينا ان نحفر في مكان ما فاذا ظهرت النمل وارياها بالتراب لئلا يراها الاستاذ ومن بعد ذلك نستمر بالحفر، والا فسوف نظل الى العشاء ولما نقم بشئ، فليس في هذه المنطقة شبر الا وفيها مملكة للنمل.

وعلى كل حال بنينا غرفة صغيرة للاستاذ هناك، فكان الاستاذ كلما يرى النمل ويشاهد مملكتها في الغرفة يقدم لها البرغل والسكر وفتات الخبز.

فسألناه عن سبب تقديمه السكر للنمل فأجابنا ضاحكاً:

– فليكن السكر شاياً لهم! (١١)

كان الاستاذ شديد الشفقة والرأفة بالاحياء فلم أره طول حياته يؤذي حيواناً حتى النمل»(١٢).

• نظرة حرام

عندما كنا مع الاستاذ في جبل (أرك)، اعددت مجموعة من الاسئلة علني اجد جوابها عنده، ولكن اثناء حديثه في جلستنا الاعتيادية أخذت جواب اسئلتي من دون ان اسأله عنها، وبقى لدى سؤال واحد فقط دون جواب، وهو سؤال يتعلق بالنظر الى النساء.. ظل السؤال يدور في صدري من دون ان ابوح به، واذا بالاستاذ يضرب فخذه بقوة ويقول:

---

(١١) المقصود غذاء اساسيا لهم..

(١٢) Son Şahitler ١/١٢٢.

– انا لست راضياً عن اعمال سعيد القديم وتصرفاته، سوى ثلاث حالات كانت عنده، فانا راض عنها...

ثم قال:

– كنت استبدل كل اسبوع ملابسي واختار اجملها واكثرها اناقة ايام كنت في استانبول ذات الحياة البراقة البهيجة.. كنت اذهب الى اجمل مناطقها حتى ان اصدقائي العلماء التفتوا الى هذه الظاهرة، فعينوا احدهم – دون علمي – مراقباً لتصرفاتي وأوصوه بملاحظة جميع ما اقوم به واعمل.

وبعد مضي ثلاثة ايام – من المراقبة الخفية – جمعتنا جلسة معهم، فقالوا لي:

يا اخانا سعيد انت على حق مهما عملت من عمل. فانت مسدد الى الحق وسيوفقك الله.

استغربت من هذا الكلام ومن حكمهم هذا عليّ، وعندما استفسرت عن السبب قالوا:

كنا نراقبك منذ ثلاثة ايام، ونحصي تصرفاتك في جميع مناطق استانبول، ومن دون علمك، فلم نر ما يخالف الاسلام قط بل رأيناك منهمكاً بنفسك دون الآخرين، ولهذا نسأل الله ان يوفقك في مسعاك...

نعم! يااخوتي كما ان ناراً صغيرة بل حقيرة – كعود الكبريت – تحرق غابة عظيمة كثيفة تدريجياً وتجعلها اثراً بعد عين، كذلك النظرة الى النساء تحرق عمل المؤمن اليومي شيئاً فشيئاً.. واخشى ان تكون عاقبته وخيمة.

ثم اضاف:

ـ ان سعيداً القديم وهو عنفوان شبابه وفي قلب استانبول وطوال عشر سنوات لم ينظر نظرة حرام ولو مرة واحدة ولله الحمد »(١٣).

• طلب العلم

« في احد الايام دعا لي الاستاذ بدعاء، ولكني اعدت النظر في دعائه وقلت:

ـ انك لم تدعُ ما اريده من الدعاء يا استاذي!

فسألني عن نوعية الدعاء الذي اطلبه. فقلت:

ـ اريد ان تدعو لي دعاء لأفهم كل ما أقرأه واحفظه لأصبح صاحب علم.

فقال الاستاذ:

ـ أتريد ان تكون عالماً؟

ـ نعم.

ـ حسناً، هل تعرف ان العلم الذي تريده سيكون خيراً لك.

ـ ان الرسول ﷺ يعلمنا ان خير الاعمال بعد اداء الفرائض هو طلب العلم. وهل يوجد علم لا خير فيه؟

ـ ان لكل شئ خيراً وشراً.

فقص عليّ قصة احد الاشخاص في زمن الحرب العالمية الاولى كيف اصبح ضالاً بعد ان افتخر بعلمه واغتر به.

ثم قال:

ـ اخي، اطلب الخير في امورك دائماً »(١٤).

---

(١٣) Bilinmeyen Taraflarıyla ص/٢٤٨ ـ ٢٤٩. والمقصود بالحالات المرضية الثلاث لدى سعيد القديم: تجنبه النظرة الحرام، والكذب، وقبول شئ من الناس.

(١٤) Son Şahitler ١/ ١٩٨.

• اصلاح الاسس

« كان الاستاذ يعظ الناس في جامع (نورشين) ايام الجمع، فكان الحديث في الوعظ يدور حول مسائل الحشر، والآخرة، والتوحيد وماشابهها من مسائل الايمان الاساسية وحقائقه الكبرى.

فسأله (ملا رسول) ذات يوم قائلا:

– اخي الاستاذ، نحن لانكاد نفهم موعظتك فكيف غيرنا؟!

فاجابه الاستاذ:

– نعم، ان مواعظي غير مفهومة غالباً، لان غايتي اصلاح الاسس التي يبنى عليها الايمان، فاذا اصبح الاساس صلباً قوياً فلا يؤثر فيه مؤثر بعد حتى الزلازل. فليجلس احدكم اذاً بجنبي كي يذكرني عندما يصبح الموضوع غامضاً، لأبسطه بسطاً وأشرحه واضحاً »(١٥).

• خدمة خالصة لله

« كان (ملا رسول) يكلم الاستاذ بصراحة تامة دون حجاب منه، وذلك لكبر سنه. ففي احد الايام اعترض على مكوثي لدى الاستاذ فقال مخاطباً الاستاذ:

– انني لا افهم من افعالك! ان كنت تريد شيخاً فها هنا اتباع الشيخ الارواسي، (١٦) فيهم شيوخ كثيرون، وان كنت تريد عالماً – في الفقه والشريعة

---

(١٥) Son Şahitler ١/ ١٥٥.

(١٦) طريقة صوفية منهم الشيخ عبدالكريم الارواسي (١٨٦٤ – ١٩٤٣) ساح العراق وتركيا طلباً للعلم مدة عشرين سنة، ولما عاد الى تركيا اسس مدرسة للعلوم الاسلامية ودرس فيها عشرين سنة: كان له منزلة رفيعة في التصوف. قاوم الروس في الحرب العالمية الاولى. وعندما اغلقت التكايا والمدارس الدينية قال: ان الدولة لم تغلق ابواب التكايا وانما اغلقت اماكن خاوية – من الروح – فتلك الاماكن قد اغلقت نفسها منذ مدة مديدة!..

– فنحن موجودون هنا. فماذا تعمل بهذا – مشيراً اليّ – فتدعوه دائماً الى جنبك وتقربه اليك.

فاجابه الاستاذ قائلا: ماذا نعمل؟ ان ملاحميد بواب عندي فلا اتمكن من عمل شئ من دون ان يأتي ملا حميد.

فقال ملا رسول بعد صمت وسكون: حسناً. ثم سكت.

والحقيقة انني لم اكن انتظر من الاستاذ اي شئ من كرامة او كشف، بل كنت اخدمه لله وبكل صدق وصفاء قلب. ولهذا السبب كان الاستاذ لايضيق بي ذرعاً، بل كان يحبني كثيراً»(١٧).

• موافقة لطيفة!

«كنت جالساً مع الاستاذ في جامع (نورشين) فقال لي:

– يا ملا حميد، انظر! انني محاط بالانوار!

فلم افهم قصده من هذا الكلام فبدأ يوضح كلامه بقوله:

– ان القرية التي ولدت فيها اسمها (نورس)، واسم والدتي هو (نورية)، استاذي هو (نوري)، والجامع الذي ابيت فيه: (نورشين) فتبسم، وقال:

انظر الى اللوحة المعلقة هنا على الحائط فقد كتب (عثمان ذو النورين) رضي الله عنه»(١٨).

• عالم لاشيخ

«كانت الايام تمضي ونحن سعداء جداً مع الاستاذ في غرفته قرب جبل أرك. جاء مفتي مدينة (وان) – يوماً – وهو الشيخ «معصوم افندي» ليأخذ

(١٧) Son Şahitler ١/١١٨.

(١٨) Son Şahitler ١/١١٩.

الاستاذ معه الى (وان) فأصر كثيراً على الاستاذ بالمجئ معه ولكن الاستاذ لم يفارق جبل ارك. وبعدها نزلنا الى حافة نهر الزرنباد ومكثنا في معبد مهجور هناك.

وفي احد ايام الربيع الجميل والشمس قد انحدرت نحو المغيب فرش الاستاذ سجادته على الخضرة الممتدة الى الافق وجلس جلسة التشهد في الصلاة، وبدأ بقراءة الاذكار والاوراد، اما نحن فكنا نجمع الحطب، فنادانا الاستاذ، وقد جاءه درويش لزيارته. كان هذا الشخص ينتظر من الاستاذ ان يريه كرامة او كشفاً بخلاف ما نحن عليه، لم نكن ننتظر من الاستاذ اي شئ من هذا القبيل. فاراد الاستاذ ان يصرف عنه هذا الدرويش فقال له:

– ان اطفالك ينتظرونك في البيت الآن.

غير ان الدرويش لم يكن راغباً في الذهاب. فقال الاستاذ:

– انت تريد ان اقول لك ما يدور في قلبك! انك تفكر ان (سعيد) شيخ وولي، وان له كرامات، وتنتظر الآن منه كرامة، فجئت الى هذا المكان لهذا السبب. والحال انني لست شيخاً، وانما انا عالم. وكل ما في الامر انني قرأت شيئاً اكثر منكم. واستمر الاستاذ قائلاً للصوفي:

– انني مع طلابي نطرق باب الله سبحانه وتعالى، فمتى انفتح نسير معاً على هداه. فهيا قم وانصرف.

فبعدما انصرف الدرويش. سألت الاستاذ:

– ان هذا الرجل جاء ليصلي معنا ويشاركنا في الدعاء. فلماذا لم تقبله؟

فقال الاستاذ:

– ألا تعرفون؟ هناك من يأتي لزيارتي وكأنما هو جالس على كاهلي ويضيّق على قلبي ونفسي. فلا اتمكن ان افعل شيئاً فيثقل عليّ ولكن هناك آخرون من امثالكم لا أحس بشئ نحوهم، وكأنما وانتم معي نكون شخصاً واحداً فلا أحس بالثقل ابداً بل اشعر كانني وحدي هنا واكاد لا احس بوجودكم. ولذلك لاتعترضوا عليّ عند عدم قبولي هذا الشخص للبقاء معنا. فلقد اضطررت الى ارساله الى بيته»(١٩).

● **لسنا خونة**

«كنا ننزل ايام الجمع الى المدينة اداء لصلاة الجمعة ثم نعود ادراجنا الى جبل (ارك). ففي احد الايام ونحن عائدون من صلاة الجمعة ومتوجهون صوب الجبل شاهدنا مجموعة من الكلاب الضخمة تنحدر نحونا من الجبل، فبدأت بجمع الاحجار لأدافع بها عن انفسنا. فسألني الاستاذ قائلاً:

– ماذا تفعل؟

– استاذي الكريم، ألاترى الكلاب تعدو نحونا؟ ألا ندافع عن انفسنا؟ فتبسم قائلاً:

– عيب هذا. لايليق بك. الق الاحجار.

فرميت الاحجار ارضاً، اترقب ماذا سيحل بنا وماذا سيكون؟ فاذا الاستاذ يشهر مظلته صوب الكلاب قائلا:

– لسنا خونة! بل عابري سبيل. فوقفت الكلاب في اماكنها وكفت عن العواء واحجمت عن الهجوم. فواصلنا السير نحو الجبل»(٢٠).

---

(١٩) Son Şahitler ١/١١٧.

(٢٠) Son Şahitler ١/١٢٠.

● **سر الزي غير المعتاد**

«عند بداية الحكم الجمهوري في تركيا لم يكن لبس العمامة محظوراً بعد، فكان العلماء في مدينة (وان) وغيرها يتزيون زي العلماء من عمامة وجبة. بينما الاستاذ ما كان يضع العمامة ولايلبس الجبة وبعبارة اخرى، كان لايتزيّا بزي العلماء.(٢١)

وفي احد الايام سأله احد طلابه قائلاً:

– لماذا لاترتدي ملابس الاساتذة والعلماء يااستاذي المحترم، فالناس لايعرفونك عالماً استاذاً؟ فلماذا لاتضع العمامة مثلهم ولا تلبس الجبة؟

فاجاب الاستاذ:

– كيف اجرأ على ان اتزيّا بزي علماء عظام كالامام الاعظم ابي حنيفة النعمان؟

كان الاستاذ متواضعاً كل التواضع. ولذلك عندما رأيته لأول مرة في جامع (نورشين) لم اكن لأعرف انه عالم»(٢٢).

● **هدمت بيته**

«هناك خواطر كثيرة جداً عن شفقة الاستاذ العميقة ورأفته الواسعة على الحيوانات والاحياء. فذات يوم من الايام الجميلة في جبل (ارك) قال الاستاذ لنا:

– انني منشغل مع اذكاري وتسبيحاتي، فاذهبوا انتم للنزهة والتجوال في هذه الفلاة الخضراء.

---

(٢١) كان الاستاذ يلف لفافاً على رأسه كما هو زي علماء الاكراد في شمالي العراق وما كان يلبس العمامة المعهودة لدى الائمة والخطباء. وظل محتفظاً بزيه هذا طوال حياته.

(٢٢) Son Şahitler ١/١٩٩.

الاستاذ النورسي عندما كان في وان

فبينما نحن نسير رأيت سحلية واقفة على صخرة، فقتلتها. ولدى عودتنا سأل الاستاذ عن الاماكن التي ذهبنا اليها وعما فعلناه. فأخبرته عن نزهتنا. ولكن ما ان أخبرته عن السحلية امتعض وقال لي:

– هدمت بيت الحيوان!

قلت له:

– لدينا قول مشهور مفاده ان من قتل سبع سحليات يفوز بثواب حجة واحدة.

– حسناً اجلس فلنناقش ولنر من صاحب الحق؟ ثم قال:

– هل تعرض لك هذا الحيوان؟

– كلا

– هل اخذ منك شيئاً؟

– كلا

– أأنت ترزق هذا الحيوان؟

– كلا

– هل هذا الحيوان يجول في اراضيك واملاكك؟

– كلا

– أأنت الذي خلقته؟

– كلا

– هل تعرف لماذا خلقت هذه الحيوانات، وماهي وظائفها؟

–.....

– هل ان الخالق خلق هذا الحيوان لتقتله انت؟ من قال لك اقتله؟
ان في خلق هذه الحيوانات الفاً من الحكم الربانية.
فانت يااخي قد اخطأت في قتل هذا الحيوان»[٢٣].

● **حق المعدة**

«ان العلماء الذين كانوا يأتون لزيارة الاستاذ – ونحن على جبل ارك – ليستمعوا الى دورسه، كانوا يجلبون معهم بضع كيلوات من البرغل وشيئاً من السمن لئلا يكونوا عبئاً على غيرهم. وكانت والدتي – وهي في السبعينات من عمرها – هي التي تطبخ لنا.

وذات يوم طلب الاستاذ مني ان اوصل البرغل الى البيت لتقوم والدتي بالطبخ. فكنا نمضي ايامنا مع الاستاذ بقليل من الاكل، ففي الفطور كنا نشرب الشاي مع قليل من الجبن، وفي العشاء نحتسي شوربة البرغل وهكذا كانت تمضي الايام. وكان الاستاذ يقسم الخبز بيننا لكل واحد حصته. فاستقللت الخبز يوماً ونحن ستة طلاب ومع الاستاذ سبعة واحياناً نفاجأ بالضيوف ايضاً، فتجرأت على القول – لعلمي بشفقته عليّ – فقلت: الخبز قليل يااستاذ وعندنا في البيت كثير ويمكننا ان نجلبه ونأكل منه فقال لي مبتسماً:

– اني لا اقوم بهذا التقسيم لقلة الخبز، اخبروني اذن بماذا تشبهون معدتكم؟ ان للمعدة ثلاث حصص وثلاثة حقوق، واحدة منها فقط هي للأكل[٢٤] فأن لم تفعلوا هكذا تكونون كمن حشر خمس عشرة دابة في زريبة لاتتسع الا لخمس منها فقط!!

فارشدنا الاستاذ بهذا المثال العملي الى حق المعدة على أنه الثلث»[٢٥].

---

(٢٣) Son Şahitler ١/١٩٩.

(٢٤) قال ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه، فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس» رواه الترمذي وقال حسن وابن ماجة والنسائي.

(٢٥) Son Şahitler ١/١٢٣.

● **اخفقت الخطة**

«عندما كنا في جامع (نورشين) نسينا ذات يوم غلق الباب، فبقي مفتوحاً، فدخل كلب الى غرفة الجامع وأكل اللحم المقلي الذي صنعه الطلاب الموجودون هناك وكانوا قد وضعوه في زير (كوز) فبعدما اكل الكلب اللحم كسر الزير وولى هارباً من الجامع، انزعج الطلاب من هذه الحادثة ورسموا خطة لاستدراج هذا الكلب وضربه فحالما سمع الاستاذ بهذه الخطة طلب منهم ان يتركوه. فقال له ملا رسول:

– استاذي، كان لدينا قليل من اللحم المقلي فلم يطاوع قلبنا في اكله. ولكن كلباً قد اتى واكل اللحم وكسر الزير. فكيف لايستحق الضرب؟

فاجابه الاستاذ قائلاً:

– يا ملارسول، اسألك بالله، واجبني بكل صدق. ان بقيت انت جائعاً ولم يكن لك نقود، ولم تقدر على شراء شئ، فرأيت لحماً في مكان مكشوف، أتأكله ام لا؟ علماً ان لك عقلاً وتدرك ان للحم صاحباً.

فسكت ملا رسول فلم ينطق بشئ، وبعد ذلك قال:

– نعم استاذي، آكله! فقال الاستاذ:

– ان هذا حيوان، ليس له عقل، ولايميز الحلال عن الحرام، ولايعرف الخير من الشر، ولايعرف بان صاحب اللحم سوف يضربه، فلاشك انه سيدخل من الباب المفتوح وسيأكل اللحم المقلي. فهل يستحق هذا الحيوان العقاب، اجيبوني بصراحة وصدق.

بعد ذلك وافق ملا رسول وجماعته على براءة هذا الحيوان. ولكن الاستاذ اعقب قائلاً:

– فما دام الامر هكذا، فلا تغتابوا هذا الحيوان كذلك وبرّئوا ذمته! فتبسم ملا رسول قائلاً:

– نقول لك يااستاذ بصراحة اننا – حقاً – لانستطيع ان نعفو عنه من صميم قلوبنا، ولكنك اقنعتنا على التجاوز عنه بدليل قوي» (٢٦).

• امامكم سعيد جديد

«في احد الايام سأل (ملارسول) الاستاذ سؤالاً فقهياً. فأجابه الاستاذ يخالف اجوبة احد العلماء السابقين، فاعترض (ملارسول) على هذا الجواب، ولكن الاستاذ اصر على جوابه وقال بشئ من الحدة والقوة:

– ايها السادة اعلموا، ان (سعيداً القديم) قد مات ولكنكم لاتزالون تظنونني سعيداً القديم، فامامكم الآن (سعيد الجديد) قد احسن الله سبحانه اليه وانعم عليه بأفضاله وألهم قلبه الهاماً ما لو كان المصنفون بحراً من العلم لما استطاعوا ان يبلغوا ركبة سعيد الجديد!!

فعليكم ان تقبلوا كلامه على ما هو عليه مهما بدا لكم معناه مخالفاً لظاهر ما لديكم من المتن، فالحقيقة هي هذه، فسعيد الجديد يدرّس في عشرة اشهر ما كان يدرّسه سعيد القديم في عشر سنوات»(٢٧).

• حياة كلها عمل

«في صباح يوم جميل من ايام الربيع، ذهبت لاجمع الحطب. وكان الاستاذ يعاونني في العمل، فلم اقبل منه ذلك. فقلت:

---

(٢٦) Son Şahitler ١/١١٥.

(٢٧) Son Şahitler ١/١١٤ وهذا من باب التحدث بنعمة الله والاعتزاز بالعلم وبث الثقة في نفوس الطلاب. وإلا فهو ليس فخراً ولا غروراً حيث كان الاستاذ يتجنبهما كتجنبه من العقارب والحيات.

– استاذي الكريم انني أكفيك العمل فلا تتعب نفسك.

اجابني قائلاً:

– اخي، ان همتي وغيرتي لاتسمحان لي بالقعود وانت تعمل امامي. فلو عرفت ما في الغيرة والهمة من خير لكنت تقضي عمرك كله دون ان تخلد الى الراحة، فما كانت تفوتك دقيقة فارغة..

حقاً لقد كانت حياته كلها عملاً»(٢٨).

* * *

(٢٨) Son Şahitler ١/١١٤.

obeikandi.com

ذكريات

من بارلا

(بارلا) ناحية على سفوح جبال طوروس، من اعمال ولاية (اسپارطة) جنوب غربي تركيا، وعلى مسافة منها بحيرة جميلة (بحيرة اگريدير). نفي الى هذه الناحية الاستاذ النورسي في شباط ١٩٢٦ بعد ان اخذ من عزلته في جبل (ارك) في رحلة شاقة، كانت تستعمل فيها زحافات تجرها الخيول فوق الثلوج التي غطت الجبال والطرقات، حتى بلغوا بشق الانفس الى ساحل البحر الاسود. ومن هناك نقل الى استانبول بالباخرة، ثم الى (بوردور، فاسپارطة، فبارلا).

خصص له الطابق العلوي لبيت خشبي قديم، في اسفله ينبوع يفيض بالماء، وامامه تنتصب شجرة الدلب الضخمة... ظل الاستاذ النورسي في هذه الناحية ثماني سنوات ونصف السنة، ولم يغادرها حتى سنة (١٩٣٥) عندما سيق الى محكمة الجزاء الكبرى في «اسكي شهر» ثم اودع سجنها.

وكانت تركيا في تلك الفترة تعيش دوراً حالكاً من الطغيان والعداء السافر للاسلام، حيث حظر تداول القرآن الكريم، ومنعت الدراسة الدينية، وغير الاذان الشرعي الى الاذان بالتركية، وفرض الزي الاوروبي والسفور للنساء، واستبدلت الحروف اللاتينية بالحروف العربية التي كانت تستعمل في الدولة العثمانية، وغيرها من الاجراءات التي تقطع صلة المسلم بدينه.. ومن سلسلة محاربة الايمان واهله نفي الاستاذ النورسي الى ناحية نائية في البلاد ليخمد ذكره ويجف هذا النبع الايماني الفياض ويطويه النسيان، ولكن شاء الله ان

تكون (بارلا) مصدر الشعاع ايماني ساطع، اضاء فيما بعد ارجاء تركيا كلها: حيث ألف الاستاذ النورسي معظم «رسائل النور»[1] هناك بما فاض الله على قلبه من نور قرآنه العظيم، فتلقفته ايدي المخلصين من اهل الايمان فانكبوا على استنساخها ونشرها سراً حتى اشتركت النساء في هذه الخدمة الايمانية رغم شدة الظروف.

سنورد للقارئ الكريم بضع شهادات فقط من حياة الاستاذ في (بارلا) حيث سجل بنفسه معاناته وآماله في الرجاء السادس والرجاء الثاني عشر من رسالة (الشيوخ).

• الله اكبر

يقص «شوكت دميرآي» ذكرياته وهو الجندي المكلف بنقل الاستاذ النورسي الى (بارلا) فيقول:

«كنت في مدينة (اگريدير) عندما استدعوني الى مركز البلدية صباح احد الايام. فذهبت اليه وكان هناك القائمقام وآمر الجندرمة (الدرك) مع اعضاء هيئة البلدية وشخص معمم في العقد الرابع من عمره يلبس جبة وله هيئة ووقار.

خاطبني آمر الجندرمة قائلاً:

– اسمع يابني. عليك ان تأخذ شيخنا هذا المعروف بـ«بديع الزمان» الى (بارلا) ان وظيفتك هذه مهمة جداً، وعندما تسلمه الى المخفر هناك دعهم يوقعوا على الاوراق الرسمية ثم اخبرنا بذلك. قلت له: حسناً ياسيدي.

---

(١) يبلغ مجموع (رسائل النور) مئة وثلاثين رسالة ترجمت الى اللغة العربية في ثماني مجلدات هي: الكلمات والمكتوبات واللمعات والشعاعات واشارات الاعجاز والمثنوي العربي والملاحق وصيقل الاسلام.

خرجت مع الشيخ وفي الطريق قلت له:

– ياشيخنا انت بمثابة والدي وان هذه وظيفة كلفت بها فارجوا ان لاتستاء مني».

ثم يستمر في وصف الرحلة بالقارب الشراعي فيقول:

«كان الجو بارداً، فالفصل شتاء ومياه البحيرة متجمدة هنا وهناك، واحد جذافي القارب في المقدمة يكسر الثلوج بعصا طويلة في يده ويفتح بذلك طريقاً للقارب الشراعي.

بدأ الشيخ (بديع الزمان) بتوزيع بعض الزبيب اليابس وبعض الحلوى علينا. كنت اتفحصه بدقة فوجدته هادئاً كل الهدوء، اذ كان يتأمل في البحيرة والجبال المحيطة بنا.. ولكون النهار قصيراً فقد ازف وقت صلاة العصر بسرعة فأراد ان يصلي واقفاً فوجهنا القارب باتجاه القبلة، سمعت صوتاً يقول:

– الله اكبر!

لم اكن قد سمعت في حياتي كلها تكبيرة بهذه الرهبة والخشوع، شعرت بان الشعر في اجسادنا قد وقف... لم تكن حركاته واطواره تشبه اطوار الشيوخ الذين عرفناهم...

كنا نحاول جهدنا ان نبقي القارب باتجاه القبلة، وعندما انهى الشيخ صلاته، التفت الينا قائلاً:

– شكراً لكم يا اخوتي... لقد اتعبتكم!

كان شخصاً متواضعاً ودمث الاخلاق.

وبعد سفرة دامت ساعتين بالقارب وصلنا (بارلا) وعندما رأى الشيخ ان صاحب القارب يحاول صيد القبج الموجود بوفرة في تلك المناطق نبهه قائلاً:

– « نحن على ابواب الربيع، وهذه الحيوانات على اهبة وضع البيوض والتفريخ، فيا حبذا لو تترك هذا العمل » فمنعه بهذا الكلام اللطيف عن الصيد »[1].

• الصديق سليمان

« في احد الايام، وكان الوقت صيفاً، خرج الاستاذ من بيته متوجهاً الى الجبل كعادته.. [2] كان الجو صحوا والشمس مشرقة وما ان وصل الاستاذ الى قمة الجبل حتى تلبدت السماء بالغيوم السوداء منذرة باقتراب عاصفة... وفعلاً ما لبثت السماء ان ارعدت وابرقت وبدأت الامطار تسقط بغزارة...

كان الاستاذ وحيداً على قمة الجبل ليس له من ملجأ يتقي فيه سيل المطر المنهمر سوى الاشجار التي لم تكن هي الاخرى كافية لتمنع عنه البلل... وبعد مدة ليست بالقصيرة خفت شدة المطر واخذ ينزل رذاذاً فانتهز الفرصة وقفل راجعاً الى البلدة وقد تبلل من رأسه الى اخمص قدميه، وفي الطريق تمزق حذاؤه فدخل البلدة وهو يحمل حذاءه بيده ويغوص في الطين بجواربه الصوفية البيضاء...

وهناك بالقرب من نبع الماء كان جمع من اهالي (بارلا) مجتمعين يتحدثون... شاهدوا هذا المنظر المؤثر... منظر العالم الجليل المهيب المنفي عن موطنه... الوحيد... المقاطع من قبل الجميع.. وهو يحمل حذاءه الممزق بيده... ويغوص في الطين بجواربه وقد تلطخت اطراف ثيابه بالطين... خيّم سكون ثقيل على الجميع وتجاذبت الكثيرين عاطفتان متباينتان عاطفة الاسراع لمد يد المساعدة اليه، وعاطفة الخوف من عيون السلطة المترصدة لكل حركة من

---

(١) Bilinmeyen Taraflarıyla ١/٢٥٩.

(٢) المقصود جبل چام القريب لبارلا والمكسو باشجار الصنوبر.

حركاته. واخيراً يندفع من بين الجميع شخص اسمه «سليمان» ويصل اليه حيث يأخذ الحذاء من يده ويغسله في الحوض ثم يرافقه حتى منزله ويصعد معه الى غرفته»[٣].

ويصبح (سليمان) هذا اول صديق له ويتتلمذ على يديه ويقوم بخدمته ثماني سنوات في بارلا.

• بريد النور

ومن «عبدالله چاووش»[٤]

«كنت اغادر قرية (اسلام) بعد المغيب حاملاً في حقيبتي الرسائل التي استنسخها «الحافظ علي»[٥] واسير الليل كله مشياً على الاقدام بين الجبال والوديان حتى اصل مع الفجر الى (بارلا) وارى الاستاذ في انتظاري، ويستقبلني بسرور بالغ. نصلي معاً صلاة الفجر. ثم استسلم للنوم.. وهكذا اتسلم في اليوم التالي المسودات من الاستاذ واوصلها الى «الحافظ علي».

• الملائكة يلتقطون صوركم

«وذات يوم جئت الى الاستاذ، واذا بالحافظ علي وعدد من الطلاب عنده، بدأ الاستاذ يوزع اجزاء من القرآن الكريم عليهم ليستنسخوه مع تعليمات بكيفية

---

(٣) كان مثالاً للصدق والوفاء والاخلاص، ظل متصفاً بهذه المثل الى ان توفاه الله في ٦/ مايس/ ١٩٦٥، يذكره الاستاذ النورسي في رسائل النور ولاسيما (ملحق بارلا) بتقدير واعجاب. رحمه الله رحمة واسعة – Bilinmeyen Taraflarıyla ص/٢٧٧.

(٤) (١٨٩٥ – ١٩٦٠) وهو من السابقين في هذه الخدمة القرآنية جزاه الله عن الاسلام خيراً، والخاطرة المذكورة عنه تغني عن اي تعريف آخر Son Şahitler ١/٣١٠.

(٥) وهو من اوائل الذين تتلمذوا على يد الاستاذ النورسي، كان دؤوباً في الاستنساخ، لما انعم الله عليه من جودة الخط ومن علو الهمة، يرد اسمه كثيراً في الرسائل، استشهد في سجن (دنيزلي) سنة ١٩٤٤ رحمه الله رحمة واسعة.

الاستنساخ، وحيث انا امي لا اعرف الكتابة والقراءة، قمت لأهئ الشاي لهم كي اشاركهم في الاجر ولكن ما ان اتيت بالشاي لأوزعه عليهم حتى نهض الاستاذ واخذ الشاي مني وبدأ هو بالتوزيع فخجلت، اذ كيف يوزع الاستاذ الشاي على طلابه! ولكني سكت امام الحاحه الشديد... ثم قال:

– ان استنساخكم اجزاء من القرآن الكريم، وسعيكم في سبيل القرآن مقبول عند الله الذي يراكم في وضعكم هذا، وملائكته الكرام يلتقطون صوركم في اوضاعكم هذه، وانا لكوني خادماً للقرآن الكريم ينبغي ان اقوم بخدمتكم.. فوزع عليهم الشاي وهم منهمكون بالاستنساخ».

• حفظ الايمان لاحفظ الطريقة

يقول خلوصي يحيى گيل (٦).

«في اول زيارتي للاستاذ وانا احسبه شيخاً من شيوخ الصوفية بادرني بالقول وقبل ان اتكلم بشئ: «اخي انا لست شيخاً، انا امام كالغزالي والامام الرباني، فانا مثلهم امام فعصرنا عصر حفظ الايمان لاحفظ الطريقة».

«وفي احدى زياراتي للاستاذ شربنا الشاي عنده، ولم أنهِ ما في القدح من شاي، وبقيت فيه فضلة منه، فقال لي الاستاذ:

– اخي انت لاتعرف السنة.

كان يقصد ارشادنا بان انهاء الشئ في القدح سنة من سنن الرسول ﷺ وترك الفضلة فيه اسراف والاسراف خلاف السنة»(٧).

---

(٦) كان ضابطاً برتبة نقيب في المعسكر القريب لبارلا. Bilinmeyen Taraflarıyla ١/٢٨٦.

(٧) Son Şahitler ١/ ٣٢٤.

• مكتوبات

« كنت اراسل الاستاذ وأسأله اسئلة في رسائلي، كان منها ما اسأل عنه وانا بدوري أسأله من الاستاذ، حتى اصبحت رسائلي هذه هي السبب الاساس لظهور الـ(المكتوبات)[٨] فمثلاً: سألني احد الاساتذة عن الحديث الشريف: [جددوا ايمانكم بلا اله الا الله] فكتبته في رسالتي الى الاستاذ – وهو في (بارلا) عام ١٩٣٢ – فكان الجواب الموجود في (المكتوبات). وهكذا..

اما المقطع الآتي فقد كان مكتوباً بخط جميل ومعلقاً في غرفة والدي – الحاج ابراهيم – فأهديته الى الاستاذ فضمه في المكتوب (٢٣) والمقطع هو بالشكل الآتي:

ان كنت تريد ولياً، فكفى بالله ولياً.. فان كان الله وليك فكل شئ لك صديق...

وان كنت تريد انيساً، فكفى بالقرآن انيساً... ففيه تعيش مع الانبياء والملائكة وتأنس معهم.

وان كنت تريد مالا، فكفى بالقناعة كنزاً.. فالذي يقنع يقتصد ، والمقتصد يجد البركة الواسعة.

وان كنت تريد عدواً، فكفى بنفسك عدواً.. فالذي يعجب بنفسه لامحالة يبتلي بالمصائب بخلاف من لايعجب بها اذ يجد السرور والراحة والرحمة الواسعة.

وان كنت تريد واعظاً، فكفى بالموت واعظاً... فالذي يذكر الموت ينجو من حب الدنيا ويسعى للآخرة سعياً حثيثاً »[٩].

---

(٨) المكتوبات: تتضمن ٣٣ رسالة (مكتوب) اغلبها اسئلة تدور حول مسائل الايمان وخدمة القرآن بعثها تلميذه (خلوصي).

(٩) Son Şahitler ٣٢٩/١

• التجويد المعنوي

« كان الاستاذ يقرأ في الصلوات الجهرية – عندما كان في بارلا – ولاسيما صلاة الصبح السور التي تبدأ بـ« الحمد لله »... وكانت قراءته قراءة فوق المعتادة، فكأنه كان يشرح الآيات ويفسرها حيث كانت قراءته تحيط بروحه، فتشعر كأن هالة من نور الهي يغمرك. فقراءته كانت تختلف تماماً عن قراءة غيره من قراء القرآن. فقد كان يقرأه حسب معناه اي حسب التجويد المعنوي.

بتّ ليلة عنده في (بارلا). كان يقوم الليل كله الا قليلاً اما مصلياً او ذاكراً او مسبحاً. وما كان ينام الا قليلاً »(١٠).

• كرامة قرآنية

ولّدت زياراتي الى الاستاذ – وهو في بارلا – انقلاباً عظيماً في نفسي، فاصبحت روحي مفعمة بنشوة لا استطيع التعبير عنها الآن... كنت اكتب الرسائل الى الاستاذ وانا في شوق عارم، وكان الجواب يأتيني تطميناً لهذا الشوق كالآتي:

– « ان توفيق الله لكم في نشر انوار القرآن الكريم، واقدامكم في عملكم، وشوقكم فيه.. كل هذا اكرام الهي لكم، وكرامة قرآنية، وعناية ربانية.. فبارك الله فيكم ».

كان الاستاذ يرى ما نستصغره من الاعمال اعملاً عظيمة، لانها مرتبطة بالقرآن العظيم وخدمته، لذا كان يحثنا الى العمل الجاد باخلاص. فمع فقر استعداداتنا وقصور قابلياتنا الا انه كان يتوجه الينا بلطف واهتمام ويشجعنا كثيراً على العمل للقرآن الحكيم.

---

(١٠) Son Şahitler ١/٣٢٥.

وعندما تسلمت امر نقلي من (اگريدر) الى الولايات الشرقية انتابني حزن شديد حيث انني سأفارق استاذي الحبيب... ادرك الاستاذ حزني هذا فقال لي عند زيارتي له:

– انني آمرك ان لاتتلهف ، ولاتهتم.. لاتحزن ياأخي .

وحالا زالت مني الاحزان والاكدار كلها وأطمأنت نفسي»[١١].

• موقع الكرامة من خدمة القرآن

«كنت طالباً[١٢] في الصف المنتهي بكلية الحقوق، كان علينا ان نزور المحاكم والسجون. ذهبت الى سجن «اسكي شهر» يوماً لزيارة الاستاذ، وعندما دخلت عليه رأيته جالساً على سجادته منشغلاً بالاوراد عقب الصلاة قبلت يده[١٣] وقلت له:

– استاذي، يقال انه يظهر على يديكم كثير من الكرامات الغيبية[١٤]، بيد اني لم ار اياً من الاحوال الخارقة منكم، فان كانت تلك الاحوال موجودة فعلاً، فأظهروها امامي، ولتمش مسبحتكم هذه مثلاً.

---

(١١) Son Şahitler ١/٣٢٥.

(١٢) من كمال طان أر Son Şahitler ٢/٦٧.

(١٣) ان تقبيل يد الكبار عرف لدى الاتراك وتوارثوه من تقبيل يد العلماء والصالحين المشروع.

(١٤) ان متابعة حوادث الكرامات لدى الاستاذ مردها انتشار الاخبار حول حوادث خارقة جرت عليه وهو في سجن «اسكي شهر» سنة ١٩٣٥، نورد منها: ما يرويه المدعي العام: انه يشاهد يوماً الاستاذ في السوق، فيندهش من حيرته، ويتصل بمدير السجن مباشرة ويهدده بقوله: كيف سمحتم لبديع الزمان بالخروج الى السوق، فقد شاهدته بنفسي في السوق؟ ويجيبه المدير: عفواً سيدي ان بديع الزمان في السجن ويمكنكم التفضل لرؤيته في السجن الانفرادي، ويأتي المدعي العام، ويزوران معاً الزنزانة، واذا الاستاذ هناك. فتنتشر هذه الحادثة في الاوساط.

وحادثة اخرى مشابهة يرويها مدير سجن «اسكي شهر» آنذاك وخلاصتها: يطرق سمعه صوت بديع الزمان طالباً الخروج من السجن الى صلاة الجمعة في (آق جامع)، فيزور زنزانته وقت الصلاة، واذا ببديع الزمان غير موجود، والحراس كلهم في مواضعهم والاقفال على الابواب. يسرع المدير الى الجامع المذكور فيرى الاستاذ في الصف الاول وعلى اليمين، يبحث عنه عقب الصلاة فلا يجده، ويعود الى السجن فوراً فيراه يكبر «الله اكبر» ويستغرق في السجود. وقد رويت حوادث اخرى من رؤية الاستاذ مراراً في صلاة الفجر جماعة عندما كان في سجن «دنيزلي». وهذه الاخبار كلها مروية من مسؤولين كانوا يعادون الاستاذ وليست من محبيه. راجع ص/ ١٩٢ – ١٩٣ من كتاب: Tarıhçei Hayat.

تبسم الاستاذ ، وذكر لي هذه الحكاية ليوضح الامر:

– كان لأحدهم ولد يحبه كثيراً، فهو وحيده، اخذه – ذات يوم – الى محل المجوهرات ليشتري له بعض الهدايا الثمينة من الالماس والجواهر حسب رغبة ابنه المحبوب، تعبيراً عن شدة حبه له. وكان قد زين صاحب المحل محله بنفاخات ملونة متنوعة على سقف المحل ليلفت نظر الزبائن. وعندما دخل الطفل هذا المحل المزين بالنفاخات لفتت نظره الوانها الجذابة، فقال باكياً:

– ابي! اريد ان تشتري لي من هذه النفاخات .. اريد النفاخات..

– ياصغيري الحبيب، سأشتري لك مجوهرات ثمينة والماسات غالية. ولكن الطفل الح في طلب النفاخات..

وبعد ان انهى الاستاذ هذا المثال قال:

– اخي انا لست الا دلالا في محل جواهر القرآن الكريم وخادماً فيه، ولست ببائع نفاخات ملونة، فلا ابيع في محلي نفاخات وليس في محلي وسوقي الا الالماس الخالد للقرآن الكريم، فانا منشغل ياأخي باعلان نور القرآن.

ففهمت ما يقصده الاستاذ وادركت خطأي».

* * *

ذكريات

من قسطموني

(قسطموني) مدينة تاريخية تقع في شمال الاناضول. نفي اليها الاستاذ النورسي سنة ١٩٣٦ بعد انهائه مدة محكوميته في سجن (اسكي شهر). ظل منفياً في هذه المدينة وتحت الاقامة الجبرية مدة ثماني سنوات. ألف خلالها كثيراً من رسائل النور: وفي مقدمتها رسالة «الآية الكبرى».

كانت تلك السنوات، سنوات عصيبة، حيث المراقبة على اشدها والمضايقات كثيرة، الا ان العناية الالهية كانت مع اهل الايمان فهيأت لهم وسائل نشر الرسائل وتوسعت دائرة عمل سعاة بريد النور، ولعل (الرجاء السادس عشر) من رسالة الشيوخ توضح هذه العناية الالهية اجمل توضيح.

مرت تركيا في تلك الفترة بمرحلة نشاط محموم للتيارات المضللة، اقلقت القلوب وشتت الافكار، فضلاً عما كان يعانيه الناس من ضيق اقتصادي حيث ظروف الحرب العالمية الثانية.

في مثل هذه الظروف القاتمة، تهفو القلوب الصافية الى من تركن اليه ليسكب فيها الامن والطمأنينة، وتتلهف العقول السليمة الى من يزيل عنها القلق والحيرة..

سنختار للقارئ الكريم احداً من هؤلاء الحيارى، وهو طالب في الثانوية (عبدالله يگن). جاء الى الاستاذ مع عدد من اصدقائه ليسكبوا بين يديه حيرتهم وقلقهم. فقالوا:

– عرفنا بخالقنا، فان مدرسينا لايذكرون الله لنا!

فأجابهم الاستاذ جواباً مقنعاً[1] بما يشفي جراحاتهم الروحية والنفسية، وذلك بلسان العلوم الحاضرة التي يقرأونها في المدارس، فمنذئذ اصبح (عبدالله) طالباً لرسائل النور، ثم خادماً في نشرها.

نقدم للقارئ الكريم باقة من تلك الذكريات، ثم نعقبها بذكريات لطيفة من «امين چايچي».

• اثر التواضع

«كنت طالباً في كلية الاداب، بينما انا جالس في الصف استمع الى الدرس اذ جاء احدهم وقال لي: ان رجلاً في الباب يطلبك فأسرع اليه، فلما اتيته رأيت شاب رشيق وجميل يرتدي زي القرويين، عرّف نفسه قائلاً:

– انا المعلم «مصطفى صونكور»[2] جئت اليك من عند الاستاذ.

واخذ يضمني الى صدره، وانا في حالة خجل شديد لا ارغب في الاحتضان، حيث كنت اقول في نفسي كيف احتضن هذا القروي وانظار الطلاب من اهل المدينة مصوبة الينا، فقد رأيت ان نفسي تستنكف الموقف الحرج. ولكن شخصية هذا الشاب القوية واخلاصه التام وتضحيته في سبيل الايمان وحبه الجم لرسائل النور قد اثرت فيّ كثيراً. فالذي اريد ان اقوله هو:

– ان رسائل النور والاستاذ نفسه يكسبان الانسان حالة صميمة وخالصة وجادة، ويجعلان الانسان يتوجه الى الباري عز وجل بقلب سليم وبتواضع

---

(١) سجل الاستاذ هذا الحوار وجعله «المسألة السادسة» من رسالة الشمرة التي ألفها في سجن «دنيزلي».

(٢) وهو الذي خدم الاستاذ وتتلمذ على رسائل النور منذ سنة ١٩٣٦ له ذكريات وفيرة وقيمة مع الاستاذ سجلها الباحث نجم الدين شاهين ار في مصدريه المشهورين. له مؤلفات وابحاث ومقالات حول قضايا الايمان.

حقيقي دون غرور او حب للنفس، حيث يصبح الانسان فعلا في حالة فطرية جميلة وبصورة دائمة، لانه ينظر دائماً الى الوجه الحسن من امور الدنيا ولايفكر الا بالجميل منها.

فهذه الحالات كانت تبرز بشكل اوضح عند الاستاذ. واينما التقيت مع اي طالب من طلاب النور الا ورأيت فيه هذه الصفات الخاصة فتغمرك اخوة خالصة وتواضع جاد. ولذلك عندما رأيت الاستاذ لاول مرة اخذتني الحيرة من شدة تواضعه. حتى دفعني هذا التواضع الشديد منه الى ان اسأل احد طلابه قائلا:

– هل يعرف الاستاذ القراءة والكتابة؟ وهل يعرف اللغة العربية؟

وعلى الرغم من ان الاستاذ لايتحدث عن نفسه قط، بل كان جلّ حديثه حول رسائل النور الا ان تعامله معك كصديق صميمي قريب واخ مخلص يجعلك تنجذب اليه سواء أكنت طالباً ام صديقاً، فترتبط معه من صميم قلبك، فهو يحاول ربطك بحقائق القرآن ورسائل النور التي هي تفسيره في هذا العصر»(٣).

• رزق طلاب العلوم

«عندما كنت في انقرة اشتقت كثيراً للذهاب الى الاستاذ والمكوث هناك، ولكنني فكرت: كيف اعيش من دون مصدر عيش واعالة من والدي؟ فليس لديّ نقود تكفي لأظل عنده فترة من الزمن. ومع هذا فقد ذهبت اليه وهو في منفاه «اميرداغ»(٤) وحينما جلست عنده، اذا به يفتح كتاباً ويسألني: هل

---

(٣) Son Şahitler ٢/١٦٩.

(٤) قضاء تابع لولاية (آفيون) في اواسط الاناضول. نفي اليه الاستاذ النورسي سنة ١٩٤٤ رغم براءته من محاكمة «دنيزلي» ظل فيه حتى سنة ١٩٤٨ تحت الرقابة المشددة ثم سيق منه الى سجن (آفيون) سنة ١٩٤٨ وسجل شيئا من ذكرياته في رسالة الشيوخ – الرجاء الخامس عشر.

تعرف القراءة؟. فاستقرأني احدى صفحات الكتاب.. قرأتها بصعوبة بالغة لانه مكتوب بحروف القرآن الكريم (٥) كان الموضوع حول رزق طلاب العلم الذي يباركه الله سبحانه. وبعدما انهيت القراءة، قال: هل اتعظت واخذت العبرة والدرس؟. فعلمت ان رزق طالب العلم مضمون عند الله»(٦).

• لاترتبطوا بي

«في احد الايام وانا اتوضأ استعداداً لصلاة الظهر، اذا بشخص يدخل علينا ويقول بلهفة شديدة: جاء الاستاذ.. جاء الاستاذ! وجاء «الاخ زبير» داخلا من الباب الخارجي للمسجد بسرعة وانا على وشك انهاء الوضوء – اذ كنت اغسل رجلي – فاستدعاني بانفعال غامر فأسرعنا معاً الى الاستاذ استأجرنا سيارة لتنقلنا الى فندق (ايپك پالاس) وفي الطريق تفرست بوجه الاستاذ فتبين لي انه مريض جداً وفي حالة انهاك شديدة فتألمت من الاعماق وكدت ابكي على حاله. ولكن صدى قولته البليغة التي كان يرددها دائماً كان يرن في اذني:

– «لاترتبطوا بي شخصياً بل كونوا على صلة وثيقة برسائل النور. فانا انسان عاجز ولي عيوب وتقصيرات، اما رسائل النور فهي ملك القرآن الكريم ومشدودة به، فانها تكفيكم. وانا فرد مثلكم ولاتميزوني كشخص عظيم فالذي يتكلم في رسائل النور هو لسان الدليل والبرهان والحقيقة»(٧).

(٥) كانت رسائل النور تكتب وتستنسخ باليد بالحروف العربية وباللغة التركية، رغم تبديل الدولة لهذه الحروف الى حروف لاتينية سنة (١٩٢٨). فكان على طالب النور ان يتقن قراءة الحروف العربية حتى يتمكن من ان يتزود من رسائل النور معاني القرآن الكريم وانوار الايمان. وبهذا تكون رسائل النور قد خدمت الحروف العربية خدمة جليلة اذ مدت من عمرها ربع قرن من الزمان، حتى نشأ جيل من الشباب المنورين يتمكنون من قراءة القرآن والحروف العربية ويعلمونها الآخرين.

(٦) Son Şahitler ٢/١٧٠.

(٧) Son Şahitler ٢/١٦١ هذه الخاطرة تمثل الزيارة الاخيرة للاستاذ لمدينة اورفة وسترد تفاصيل الحادث في «الرحيل».

• اهمال الامور الجانبية

«لم يكن الاستاذ يعمل لراحة نفسه ولا لينقذ نفسه من آلام المتاعب والمضايقات، وانما كان يجاهد لانقاذ الايمان وحفظه ولتنقية الجو المحيط بالايمان من الجراثيم المسلطة عليه من شبهات ووساوس، وكان يدعو الى الاتحاد والوحدة دائماً ويتجنب كلياً الامور التي تعيق الاتحاد وتعرقله. ولذلك كان يقوم بتوضيح المسائل التي تهم المؤمنين الحقيقيين ولا يشغل نفسه بأمور فرعية غير مهمة، حيث كان يجاهد لكي يحول ايماننا من الايمان التقليدي الى الايمان التحقيقي المرتكز على اسس علمية، وكان يقول بانه يجب علينا ان نقوي ايماننا لنتمكن من اجتياز فتنة آخر الزمان بسلام. ولهذا السبب كنا نراه يدرس هذه الموضوعات وامثالها ويوضحها بأوجهها المختلفة. فكان يمنع طلابه – على قدر الامكان – من الانشغال بالامور الشخصية التي تشغلهم عن خدمة الايمان، وكان يشجع ويساعد كل من ينخرط في تلك الخدمة. ولذلك كنا نرى اهتمامه البالغ برسائل النور اكثر من اي شئ آخر حيث تمثل التفسير المعنوي للقرآن الكريم.

فمثلاً: سافرت معه – وهو في ايامه الاخيرة – الى ناحية (چاي) – من اعمال ولاية افيون – وفي الطريق تحدثنا عن مسائل شتى. وفي اثناء الحديث ابديت رغبتي في زيارة طلاب النور في (دياربكر)[٨] فاجاب الاستاذ:

– كلا، اولى لك ان تذهب الى (اورفة)[٩]، فلا يستوجب الذهاب الى (دياربكر).

---

(٨) مركز ولاية مشهورة في جنوب شرقي تركيا.

(٩) مركز ولاية مشهورة ايضاً في جنوبي تركيا. فيها كثير من اضرحة الصالحين، ومسجد يدعى مسجد خليل الرحمن، وقد اتى اليها الاستاذ النورسي في اواخر ايامه، وتوفي هناك.

فكلما كنت استشيره في زيارة الاخوة في غير مدينتي كان يجيبني بالقول:

– ان رسائل النور تكفيكم فلا حاجة للذهاب الى اماكن بعيدة»(١٠).

القول اللين

«عندما كان احد المسؤولين من ذوي المناصب العالية يأتي لزيارة الاستاذ كان يذكر له اولا محاسنه وفضائله، ويشوقه بهذا الكلام الطيب الى الايمان ويحبب اليه خدمة الايمان.

فعندما كنا في «اميرداغ»(١١) كان علينا ان نقدم تقريراً طبياً حول حالة الاستاذ الصحية الى المحكمة في (صامسون). وكان الناس يعتقدون بان طبيب المدينة هو رجل ملحد شيوعي وانه يعادي الاستاذ. ولم نكن نعتقد بأن هذا الطبيب سيكتب التقرير المطلوب للاستاذ، ولكن الاستاذ قبل زيارة الطبيب اليه وحينما اتى الطبيب لزيارته كان الاستاذ متمدداً على فراشه يعاني من مرض شديد ومع هذا جلس مع الطبيب ساعات طويلة وحده. فبقدر ما فهمنا بعد ذلك من هذه الجلسة، ان الاستاذ قد تكلم مع الطبيب عما عاناه من مصاعب ومشاق، وان غايته في الحياة ليست سوى الايمان. ثم بين له بانه بحاجة الى تقرير طبي، ولكنه قال للطبيب: لا اطلب منك ان تزودني بالتقرير باسمك، لانني اخشى عليك الاذى. بل حوله الى مدينة (اسكي شهر). ثم اعطاه

---

(١٠) المقصود ان الواجبات من الكثرة في خدمة الايمان بحيث لاتدع مجالا للانسان ان يقضي اوقاته في الزيارات واللقاءات غير الضرورية. Son Şahitle ١٧٢/٢.

(١١) بعد ان قضى الاستاذ النورسي مدة محكوميته في سجن (آفيون) نفي مرة اخرى الى (اميرداغ) وظل فيها تحت الاقامة الجبرية الى ان غادرها في مارت سنة ١٩٦٠ الى (اورفة) حيث توفي هناك. وقد كان من دأب الاستاذ ان يراسل تلاميذه في المناسبات او للتوجيه والتربية بوسائل متفرقة. جمعت هذه الرسائل الخاصة في مجلدات اطلق عليها «الملاحق» فهي: (ملحق بارلا، ملحق قسطموني، ملحق اميرداغ).

الاستاذ كتاب «الحجة الزهراء» [١٢] واوصاه بالصلاة.. ولما خرج الطبيب من غرفة الاستاذ قال:

ياخسارتنا .. لم نتعرف على هذا العالم من قبل.. فقد اصبحت مديناً لربي بقضاء الفوائت»[١٣].

• لاخير في الاسراف

«كان الاستاذ مقتصداً جداً، ويعلمنا الاقتصاد في كل شئ [١٤] ففي احد الايام قال لي:

– اشعل الموقد.

فاشعلته، ولكنني اضفت اليه شيئاً من الفحم ايضاً، فحذرني وغضب علي غضباً شديداً وقال:

– هذه الاضافة هي الاسراف بعينه فلا تكن احمق.

اما اكل الاستاذ فكان لايأكل شيئاً الا ويتأكد من مصدره ونظافته فمثلاً: لايأكل اللبن الخاثر الا ان نأتيه به في كأس مغطى. ويأكل من الخبز بقدر الكف. وفي بعض الاحيان لايأكل حتى تلك القطعة من الخبز كاملة، ولانشتري الخيز الا من الفرن ونغطيه بقطعة قماش الى ان يأكله، وكان يأكل الطعام وحده، فاذا رأيناه وهو يأكل كان لامحالة ان يكرم نصف طعامه لنا. ويقول:

---

(١٢) وهي «الشعاع الخامس عشر»، يتضمن مقامين: الاول في شرح التوحيد، وتفسير سورة الفاتحة ثم بيان دلائل صدق نبوة محمد ﷺ، اما المقام الثاني فيبدأ بجولة في عالم الشهادة لبيان معنى قوله تعالى ﴿الله نور السموات والارض﴾ ثم الغوص في معاني «التحيات لله» ثم شرح معنى الارادة الالهية والعلم المحيط.

(١٣) Son Şahitler ٢/١٧٢.

(١٤) حتى انه خص الاقتصاد برسالة مستقلة «رسالة الاقتصاد» وهي اللمعة التاسعة عشرة.

– ان للمعدة كرامة.

جاءه احد اصدقائه عام (١٩٥٣) واستضافه الى بستانه في «چاملجة»[١٥] فذهبت مع الاستاذ واحد الاخوان الذي يقود السيارة الى هناك. وعندما احضر الطعام. وكانت وليمة فخمة شكر الاستاذ صاحب البيت على حسن ضيافته واخبره بأنه سوف لايشارك مع الجماعة في الاكل وقال:

– انني مريض، وان معدتي تؤذيني، ضع لي من الطعام ما يكفيني وآكله وحدي.

فذهب وجلس تحت الاشجار ولم يأكل اكثر من نصف ماعون. وقال لصاحب البيت: بأن هذه ضيافة اشبه بضيافة السلاطين.

ولدى عودتنا بدأ يتكلم في السيارة عن اضرار امثال هذه الولائم وكيف يساء فيها الاستعمال ويقود الى الاسراف، وكيف انه لايمكن – في الخدمة الايمانية – ترقب شئ من المقابل.

وكان الاستاذ يأكل الطعام في وجبتين في اليوم: وجبة الضحى ووجبة اخرى بعد صلاة العصر. ولايأكل اكثر من ماعون صغير»[١٦].

• بيع الفراش

يقول «امين چاير»[١٧] في معرض ذكرياته عن الاستاذ النورسي:

---

(١٥) اجمل منطقة في استانبول. وللاستاذ ذكريات جميلة فيها – راجع رسالة الشيوخ – الرجاء الحادي عشر، اللمعة السادسة والعشرين.

(١٦) Son Şahitler ٢/١٧١.

(١٧) كان من اشراف العشائر في الولايات الشرقية، وكان من بين المنفيين الى قسطموني، نصب له زاوية صغيرة لعمل الشاي للناس فاشتهر بـ«امين چايچي» هداه اخلاصه الى التعرف مع الاستاذ النورسي.. خدم دعوة الايمان خدمات جليلة. كان المحور في نشر الرسائل.. لازم الاستاذ النورسي في اغلب اوقاته في قسطموني.. ثم سجن معه في سجن دنيزلي، توفي رحمه الله في «وان» عام ١٩٦٧ حيث مسقط رأسه.

«في احد الايام وقع بصري عل رجل عليه ملامح الوقار والعلم، فتوجهت نحوه وبعد السلام عليه سألته:

– من اين انت؟ اجابني:

– لاتقترب مني فرجال الشرطة يراقبونني، اخشى ان يصيبك منهم اذى.

وكان ما في هذا اللقاء من صدق واخلاص كافيين في جذبي اليه، والبحث عنه في كل مكان في المدينة، حتى وجدته في مركز الشرطة الكائن في السوق. وعرفت بعد ذلك انه يصعد احياناً الى قلعة (قسطموني) واحد افراد الشرطة يتعقبه.

فذات يوم جاءني شرطي ودعاني الى القلعة حيث الاستاذ هناك، وعندما التقينا قال للشرطي:

– اخي، ان هذا الرجل من معارفي، فلو سمحت لنا ان نتحدث معاً.. ابتعد الشرطي عنا وبدأ الاستاذ يشرح لي وضعه وظروفه الصعبة واعتلال صحته من اثر السم الذي دس له في الطعام. ثم قال انه محتاج الى شئ من السكر والشاي وما الى ذلك من الحوائج. وقال:

– انهم لايسمحون لأحد من الناس ان يراني. فأنا اريد ان اقول للمفوض بأنني ارغب في بيع فراشي لكي يكون هذا البيع وسيلة اتصال بيني وبينك الى ان تحل هذه المعضلة. فمد يده الى جيبه واخرج ثلاث ليرات ذهبية ووضعها في يدي وقال:

– ان هذه الليرات الذهبية من بقايا ايام الحرب العالمية الاولى، كنت احتفظ بها منذ سنوات طويلة. فخذها واصرفها حسب احتياجاتي. قلت له:

– ان حالتي المعاشية جيدة ولا احتاج الى نقودك. فاجابني بقوله:

– انني لا اقبل شيئاً دون مقابل.

فأخذت القطع الذهبية وبدلت احداها في السوق الى النقود المتداولة الحالية، وفي اليوم التالي ناداني المفوض وقال: ان هذا الاستاذ يريد ان يبيع فراشه. فهل تشتري فراشه؟ فاجبته: نعم.

ثم قال: كيف تعرف هذا الرجل؟ ومن اين؟ اجبت: انه احد معارفي السابقين وكثيراً ما كان يرى بعضنا البعض الآخر.

وبعدما ابديت رغبتي واستعدادي لشراء الفراش اخذني الشرطي الى المركز لمقابلة الاستاذ وهو في الطابق الثاني. فرأيت الفراش وقدّرته بثمن خمس وعشرين ليرة واجّرته للاستاذ مرة اخرى فقلت:

– على شرط ان يدفع لي ثمن المبيت عليه يومياً.

وهكذا اصبحت بواسطة هذا الفراش اذهب الى المركز يومياً بحجة استلام الاجرة، فآخذ معي ما يحتاجه الاستاذ من ضروريات»[١٨].

● **جزاء الايذاء**

«كان المفوض المدعو «نوري» يؤذي الاستاذ كثيراً حيث كان يقوم بتحري غرفة الاستاذ كل ثلاثة ايام. مرض هذا المفوض يوماً مرضاً لايطاق لشدته فقال له احد اقربائه: لقد آذيت بديع الزمان فأصابك ما اصابك. فراجع المفوض نفسه وندم على فعلته وجاء الى الاستاذ معتذراً وسائلاً منه الدعاء للشفاء.

وذات يوم ناداني هذا المفوض وقال:

– من الآن فصاعداً سوف تقوم بخدمة بديع الزمان هنا، ولن تجد احداً

---

(١٨) Son Şahitler ٢/٩٦.

يتدخل في شأنك ويمكنك زيارته متى تشاء. فاصبحت ادخل الى الاستاذ واخرج من عنده متى شئت دون ازعاج ولا خوف.

كان الفصل شتاء والفصل هذا طويل جداً وقارس في هذه المدينة، الا انه يتخلله اعتدال لطيف، فكنت اخرج مع الاستاذ في مثل هذه الايام لنتمشى في المروج الخضراء. اما في المساء فقد كان يجلس في غرفته ويصحح الرسائل(١٩) ويقفل باب غرفته بعد صلاة العصر. وكان للاستاذ مدفأة صغيرة تكاد لاتدفئ الغرفة، مع منقلة صغيرة وكرسي خشبي، فكان يضع لحافه فوق الكرسي والمنقلة تحت اللحاف لكي يتدفأ بواسطته.

ومرت الايام واذا بالمفوض «نوري» يعود الى عادته في ايذاء الاستاذ ومضايقته مرة اخرى. وعندما جاء ليفتش وضع يده داخل اللحاف عله يجد شيئاً فاحترقت يده حالا. فخجل من عمله امام الاستاذ. فقال له الاستاذ:

ـ ان اسمك «حافظ نوري» وان اسم رسائل النور «النور». فاحذر! هذا تنبيه لك، ولاتقترب مني ثانية للتفتيش والتحري.

ولقد لاقى هذا المفوض كثيراً من المصائب والامراض حتى انه عندما اخذوه الى (انقرة) لتشخيص مرضه عجز الاطباء عن تشخيصه، فكان كلما رجع الى «قسطموني» اشتد مرضه، وفي نهاية الامر قالت له والدته وزوجته:

ـ لقد آذيت بديع الزمان كثيراً فاصبك دعاؤه عليك. فما عليك الا الذهاب اليه والاعتذار منه عمّا بدر منك من افعال، فلا تتدخل بعد الآن بدروسه وكتبه. فجاء المفوض «نوري» مع عائلته الى الاستاذ وسألوه العفو عما سلف والاعتذار منه. فقال لهم الاستاذ:

---

(١٩) حيث كانت الرسائل تستنسخ باليد: وكان الاستاذ هو الذي يتولى تصحيحها خشية وقوع الاخطاء والتحريف لكونها تفسيراً للقرآن. استمر الوضع هكذا حتى طبعت الرسائل سنة ١٩٥٦ واشرف الاستاذ بنفسه على الطبع.

– انني لم افعل به شيئاً، بل القرآن الكريم فعل به ما فعل.

ثم اعطاه رسالة (الحشر)، ووعده المفوض بانه سيقرأوها. ولكن بعد عدة ايام توفي «نوري»(٢٠).

• قبل اذان الفجر

«كنت اذهب الى غرفة الاستاذ منذ الصباح الباكر لاشعل مدفأته، ففي احد الايام والبرد شديد جداً ذهبت اليه قبل اذان الفجر بنحو ساعتين دون ان ادري. فرأيته جالساً فوق سجادته يتعبد على ضوء شمعة صغيرة. كان يدعو بصوت رقيق حزين في ذلك الوقت البارد، ويرجو الله ويتضرع اليه، فوقفت انتظره ساعة ونصف الساعة وانا في انفعال امام هذا لمنظر الرفيع دون ان احس بالتعب وان ارجف من البرد. وبعد ذلك سمعت اصوات المؤذنين وهم ينادون لصلاة الفجر «باللغة التركية في ذلك الوقت»(٢١) فألتفت اليّ الاستاذ قائلاً:

– اخي امين، لقد اخطأت خطأ كبيراً. اقسم بالله بأن لي اوقاتاً بيني وبين الله لا اقبل ان يدخل عليّ احد حتى لو كان ملائكة! فأنت مخطئ جداً. فلا تكرر هذا العمل مرة ثانية، لاتأت في مثل هذا الوقت المبكر، بل انتظر حتى يؤذن لصلاة الفجر ثم تعال اليّ.

فقلت:

– ارجو عفوك يا استاذي فانا المقصر، لقد كان ضوء القمر سبباً لخطأي هذا، فأتيت مبكراً فلن آتيك بعد اليوم قبل اذان الفجر»(٢٢).

---

(٢٠) Son Şahitler ٢/٩٧.

(٢١) بدل الاذان الشرعي الى اللغة التركية سنة ١٩٢٨ واستمر الوضع هكذا حتى سنة ١٩٥٠ حيث اعيد الاذان الى وضعه الشرعي باللغة العربية.

(٢٢) Son Şahitler ٢/٩٨.

• الجوارب الضائعة

« كنت اذهب كعادتي كل يوم لزيارة الاستاذ، فرأيته ذات يوم يبحث عن جوربه، فساعدته في البحث فقال لي مبتسماً:

– اخي لقد فتشت كل مكان في الغرفة حتى في علبة الكبريت! هناك اولياء مجذوبون يمزحون معي في هذا الوقت العصيب بدلاً من ان يعاونونني وانا اقاسي من الضغوط والمراقبة ما اقاسي، الا انهم يعيقون عملي ولا يساعدونني..

ثم قام مبتسماً وتوضأ ووقف للصلاة. وبعد انتهاء الصلاة والدعاء، قام واتجه نحو فوهة المدفأة (٢٣) ونظر داخلها فشاهد طرفاً من جوربه يتدلى هناك. فقلت له:

– من المحتمل ان الفئران اخذتها ووضعتها هناك. فقال الاستاذ:

– لابد في هذه حكمة الهية.

فما ان سحب الجورب حتى انسحبت معها – من الفوهة – اجزاء من رسائل النور قد خبأها منذ مدة ونسيها هناك، فأخرجها في الحال ووضعها في مكان اكثر اماناً واطمئناناً من ذلك المكان. ولم تمض لحظات حتى طرق الباب ودخل الشرطة مقتحمين الغرفة في حملة تفتيشية مفاجئة وبدأوا بالتحري الدقيق، ولكنهم لم يجدوا شيئاً فتركوا الغرفة »(٢٤).

• حادثة التسمم

كان الاستاذ معتاداً على صعود اعالي الجبال وقممها. وكان ثمة رجل يدعى « محمد خانچي » قد اعطى فرساً للاستاذ كي يعينه في الصعود والنزول.

---

(٢٣) من المعلوم في المناطق الباردة تستعمل فوهات طويلة للمدفأة لدفع الدخان الفاسد الى الخارج.

(٢٤) Son Şahitler ٢/٩٨.

صعد الاستاذ ذات يوم – كما كان يصعد سابقاً – وحده الجبل وفي طريقه قدم له احدهم شيئاً من مأكولات فتسمم وسقط ارضاً في مكانه المعتاد فوق الجبل. عاد الفرس وحده الى المدينة. وفي هذه الاثناء طُرق باب دار « محمد فيضي »[٢٥] وسمع صوتاً يناديه: « الاستاذ يناديك » فخرج الاخ (محمد) الى الباب فلم ير احداً لدى الباب وتكرر هذا الطرق ثلاث مرات. بعد ذلك ذهب الاخ (محمد) الى مربط الفرس واذا به يرى الفرس هناك ولكن الاستاذ غير موجود في البيت. فأسرع بفرسه نحو الجبل الى حيث يكون الاستاذ كعادته فوجده ملقى على الارض وفي حالة قريبة من الاغماء. ثم يفتح الاستاذ عينيه قليلاً ويقول:

– اخي، محمد فيضي لقد سمموني، وانا اعرف الذي فعله.

فيأخذ الاخ فيضي الاستاذ محمولاً على الفرس عائداً به الى البيت ودام مرضه مدة طويلة. وقال:

– شكراً لله وحمداً له فقد حفظني من تأثير السم، اذ اصبح « الجوشن الكبير »[٢٦] وسيلة مضادة لتأثير السم فلم يؤثر فيّ التأثير كله، اذ اقتصر تأثيره على الاذن فقط [٢٧].

* * *

---

(٢٥) احد طلاب النور القدامى.

(٢٦) الجوشن بمعنى الدرع الذي يستعمل للصدر. وهو مناجاة نبوية رائعة برواية الامام زين العابدين رضي الله عنه. يتضمن هذا الدعاء الاسماء الالهية والصفات الجليلة، وبين كل مقطع وآخر: سبحانك يا لااله الا انت الامان الامان اجرنا من النار.. خلصنا من النار... نجنا من النار.

(٢٧) Son Şahitler ٢/١٠٠ والحادثة مفصلة ايضاً في رسالة الشيوخ.

الاستاذ النورسى فى فترة محاكمة آفيون.

obeikandl.com

سنة(١٩٥٠-١٩٦٠)م

هذه الفترة غزيرة بالذكريات المنوعة، اذ بدأ الاستاذ يتفقد طلابه في مناطق مختلفة من تركيا بعد ان افرج عنه مع المسجونين جميعاً سنة ١٩٥٠ وغدا له شئ من الحرية في التجول، الا ان هذه الحرية لم تدم فقد فرضت عليه الاقامة الجبرية في (اميرداغ) و (اسپارطة).

ولكن الملفت للنظر في هذه الفترة انه – لكبر سنه – قد سمح ببقاء بعض طلبته معه للقيام بخدمته، فكان من هؤلاء: (زبير، بايرام، صونگور، حسني، طاهري... وغيرهم). فلازموه ملازمة الظل. وبدأ يدرسهم من رسائل النور دروساً جماعية. وخص لكل طالب واجباً معيناً: فالامور الاجتماعية وقراءة الجرائد اصبحت من اختصاص «زبير»، والاتصال مع المسؤولين في الدولة واخذ الرسائل اليهم من اخصاص «صونگور».. وهكذا... ومن هنا يطلق على هذه الفترة من حياة الاستاذ بـ«سعيد الثالث» اذ رغم ابتعاده عن السياسيين واروقة السياسة اصبح له اهتمام خاص بهم ولاسيما من كان يجد فيه الغيرة على الاسلام.

وسنختار من ذكريات هؤلاء الطلاب الملازمين له، ذكريات «بايرام يوكسل» حيث لم يفارق استاذه منذ انخراطه في صفوف العاملين في خدمة الايمان وحتى انتقال استاذه المحبوب الى الرفيق الاعلى. ودامت هذه الخدمة الايمانية مع الاستاذ منذ سجن «آفيون» سنة ١٩٤٨ حتى ٢٣/مارت/١٩٦٠ وهو تاريخ وفاة الاستاذ.

وسيجد القارئ الكريم اثناء سرد «بايرام» لذكرياته عن الاستاذ تعريفاً جيداً لبعض من اولئك الذين معه، فاغنانا عن ايراد ترجمة عنهم.

• بداية تعارف

بعد ان انهيت الدراسة الابتدائية انخرطت في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، اذ كنت شغوفاً به، محباً لاداء الصلوات في المسجد وعلى وجهها الصحيح. كنت احب اداء الاذان برغبة شديدة، حتى كنت اذهب الى المسجد قبل الفجر بكثير وانتظر في باب المسجد لجهلي بوقت الفجر، حيث لم اكن املك ساعة..

طرق سمعي وانا شاب يافع خدمات الاستاذ النورسي للقرآن الكريم وكيف انه يحافظ على الايمان عن طريق رسائل النور، فاشتقت الى زيارته.. ومرت الايام وانا ازداد شوقاً ولهفة للقائه، حتى انعم الله عليّ بزيارته في رؤيا صادقة ان شاء الله.

رأيت في المنام سنة ١٩٤٧ ان الاستاذ على ذروة تل قرب (اميرداغ) وهذا التل معروف لدى الناس وعليه ضريح احد الاولياء الصالحين. لم اكن قد رأيت الاستاذ من قبل قط.. ورأيت نفسي اني اقوم بخدمته، فقدمت له القهوة. كنت اشعر اني في شوق وحب عميق لايوصف.. قبّلت يده، كانت يده تتضوع طيباً، ولم يذهب اثر الطيب لسنوات بعد الرؤيا...وهكذا اصبحت طالباً من طلاب النور.. وكنت حينئذ في السادسة عشرة من عمري.

ولكن قدر الله الا تتحقق الرؤيا الا في سجن (آفيون) فحظيت بالقيام بخدمته هناك.. وتوالت الايام معه حتى سنة ١٩٦٠»[١].

• بل خادماً للقرآن

«كنا جالسين مع الاستاذ ذات يوم، فقال:

---

(١) Son Şahitler ٣١/٣

– كان بعض الطلاب – في سجن افيون – يبدون شيئاً من الضيق والضجر. وعندما كنت ارى منهم هذا الوضع أتألم واحزن. فقلت يوماً:

– يا رب أليس لي بين هؤلاء طالب؟ (اي: طالب مخلص لا يبدي تذمراً) ولم اكمل الدعاء بعد حتى قام (طاهري موتلو)[٢] قائلاً:

– نعم يا استاذي!

فسررت لهذا الكلام سروراً بالغاً. وكان خير تسلية لي في حينه.

كان الاستاذ يطلق على الاخ طاهري بـ« الرائد ». وحقاً لقد كان يتصف بخصال وشمائل قلما تجدها في غيره، فقد كان يصوم الاشهر الثلاثة طوال ثلاثين سنة من عمره، ولم أر منه ان صلى الوتر بعد العشاء وانما كان يقيم الليل ويصلي التهجد ثم يوتر. لقد كان كنزاً للدعوات لطلاب النور. وكان في طاعة تامة لاوامر الاستاذ ويطبقها بحذافيرها. لذا لم اسمع من الاستاذ ان قال لاحد من طلبة النور مثلما قاله للاخ (طاهري)، حين قال بحقه:

« ان الاخ طاهري ولي من اولياء الله الصالحين، فعليه ان لايعد نفسه أنه في الدنيا ».

وفي احد الايام قال الاستاذ له:

– أتريد ان تعدّ نفسك في هذه الدنيا – اي تميل اليها قليلاً – ؟ أم تريد ان تستخدم عاملاً وخادماً للقرآن الكريم؟.

فأجاب:

– استاذي الحبيب ارجوك.. بل خادماً للقرآن.

(٢) ولد في اسبارطة سنة ١٩٠٠ هو احد طلاب النور المقربين للاستاذ النورسي (انتقل الى رحمة الله سنة ١٩٧٧).

فقال الاستاذ ملتفتاً الينا: بارك الله فيه، انه حقاً ولي من الصالحين!

كان الاخ طاهري اكبرنا سناً كما انه اكثرنا عملا في سبيل القرآن. فما كانت تفوته كلمة اثناء قراءته القرآن الكريم او اثناء تصحيحه الرسائل. ولقد ضحى حياته كلها في سبيل خدمة القرآن. فاخلاصه الكامل في العمل كان يزيدنا نشاطاً وحيوية وشوقاً الى خدمة الايمان مهما كانت الظروف... كان رحمه الله مخلصاً لله. كل عمله كان لله. كنا نتخذه اباً معنوياً لنا لشدة شفقته علينا... لم يعرف التعب اليه سبيلاً ولم نره ملّ يوماً من العمل... رحمه الله رحمة واسعة (٣).

• الصلاة في اوقاتها

«كان الاستاذ جمّ الخشوع في صلاته ويقرأ الآيات آية بعد آية، وبعدما يقف منتصباً للصلاة ينوي ثم يكبر بـ(الله اكبر) بصوت عال جداً يكاد دويه يهز البيت الخشبي الذي يسكنه، وكانت الرهبة تملأنا ونحن خلفه مأمورون.

كان يهتم كثيراً باوقات الصلاة وحريصاً عليها كل الحرص، واسوق هنا مثالاً:

خرجنا يوماً من اسپارطة الى اميرداغ ولم يبق الا خمس دقائق للوصول الى (اميرداغ) واذا بوقت الصلاة قد حان، فنظر الاستاذ الى ساعته فاقام بنا الصلاة. ولم يكن الاستاذ يبالي بالبرد القارس ولا بالمطر اذا ما حان وقت الصلاة. فكنا نؤديها في اوقاتها في الحل والترحال، وكان يقول:

«ان اكثر من مئة مليون شخص من كل ارجاء العالم الاسلامي يجتمعون في الجامع المعظم ويشكلون جماعة كبرى لاداء كل صلاة في وقتها، فكل فرد

---

(٣) Son Şahitler ٣/٩٠.

من هذه الجماعة يدعو للجماعة كلها بقوله: ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ فهذه الآية الكريمة تصبح بمثابة دعاء وشفيع لكل فرد من افراد الجماعة. نفهم من هذا: عِظم الثواب غير المتناهي والاخروي الذي يناله الفرد المؤدي صلاته في اوقاتها فالذي لايشرك اذن مع هذه الجماعة لايحصل على حظه من ذلك الثواب، مثله في هذا:

«الجندي الذي لم يجلب قصعته لأخذ طعامه من المطبخ الرئيس فلا يستلم ارزاقه المخصصة، اي ان الذي لايؤدي الصلوات في اوقاتها كأنه لايأخذ ارزاقه المعنوية من القدر الرئيس في المطبخ المعنوي للجماعة الكبرى»(٤).

* * *

(٤) Son Şahitler ٦٤/٣

• **اذكار الليل**

« كان الاستاذ ينام قليلاً ويأكل قليلاً جداً بحيث لايكفي لاشباع حاجة الانسان الاعتيادي وكان يقول لنا:

– النوم الفطري والطبيعي هو خمس ساعات في اليوم.

وكان من عاداته – التي لم يتخل عنها طوال حياته المباركة – ان يقضي الليالي بالتسبيح والتهليل والدعاء والمناجاة والتهجد، وكان على وضوء دائم، وكان جيران الاستاذ في (اسپارطة وبارلا واميرداغ) يقولون لنا:

حيثما ننظر الى بيت الاستاذ في الليل نرى مصباحه الخافت مضاء ونسمع أنين اذكاره الحزين ودعاءه الرقيق »(٥).

• **تجنب الفتن**

« كان الاستاذ يعمل حسب التقويم المعمول في البلاد(٦)وكان يبدل الحروف اللاتينية التي فيه الى حروف القرآن الكريم – اي العربية – ويعلق التقويم فوق رأسه. فكما يحدث في الوقت الحاضر، فان اشخاصاً يصومون قبل يوم من رمضان ويفطرون قبل يوم ايضاً استناداً الى الرؤية في بلاد مجاورة. وعندما كنا نخبر الاستاذ عن هذا ما كان ليهتم به.

قال الاخ (طاهري موتلو) للاستاذ ذات يوم:

– اليوم يوم عيد في السعودية.

فأجابه الاستاذ مؤشراً الى التقويم الذي في الحائط:

– اني اضبط اوقاتي حسب التقويم عندنا.

---

(٥) Son Şahitler ٣/٥١.

(٦) الموضوع من قبل لجنة من علماء الدين والفلك. Son Şahitler ٣/٤٩.

وقال ايضاً في احد دروسه:

– اذا عملت حسب تقاويم الدول الاخرى فقد فتحت اذاً باباً للفتنة (بين المسلمين) واصبحت انا وسيلة لها».

• ليالي رمضان

ويروي (بايرام) عن مشاهداته في العشر الاواخر من رمضان فيقول:

«كان الاستاذ في النصف الثاني من شهر رمضان المبارك يقيم الليل كله ولا ينام وما كان يسمح لنا ان ننام ايضاً. وفي اكثر الاحيان كان يتفقدنا فاذا رأى احدنا نائماً يرش عليه الماء ويوقظه، فعلمنا السهر. فكنا نقيم الليالي المباركة ونبقى مستيقظين حتى صلاة الفجر وبعدها ننام. وكان يذكرنا بالحديث الشريف:

«تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان»(٧).

ويعلمنا بان هذه الليالي تتضمن ليلة مباركة هي ليلة القدر يعادل الثواب فيها ثواب عبادة ثمانين سنة(٨).

وكان الاستاذ ينشغل بأوراده طوال شهر رمضان ويقرأ جزءاً واحداً كاملاً من القرآن الكريم كل يوم ويحثنا على التلاوة فكنا نقرأ جزءاً كل يوم ايضاً. وكان يعطينا من زكاة فطرة.

ويقول لنا:

«انتم طلاب علوم، يمكنكم ان تتبادلوا فيما بينكم زكاة الفطر» فنقوم بتطبيق ما يأمرنا به. فكنا نبتاع القمح بتلك الدراهم. ففي بعض الاحيان كنا نوصي بعمل الخبز. ولانصرف شيئاً ولا ننفق الا باقتصاد تام»(٩).

---

(٧) رواه البخاري ومسلم واحمد والترمذي.

(٨) يمكن معرفة ذلك بحساب الالف شهر.

(٩) Son Şahitler ٩٣/٣.

• الاشهر الثلاثة

«عندما كان الاستاذ في اسپارطة، حلت الشهور الثلاثة «رجب، شعبان، رمضان» فقام بتوزيع اجزاء القرآن الكريم، لكل طالب جزء من التلاوة اليومية ليختم القرآن الكريم كل يوم في هذه الشهور المباركة، فيرفع الى الملأ الاعلى قرآناً كاملاً من طلاب النور في (ساو، قوله اونلو، اتابى، بازانون)(١٠) فحظيت هذه النواحي ببركة ختم القرآن يومياً بعمل الاستاذ هذا.

وفي ذات الوقت كان الاستاذ يدعو الله سبحانه كثيراً ويذكر اسماء الطلاب في دعائه مستشفعاً برسول الله ﷺ ومنادياً باسمه واصحابه الكرام.

وكان يستيقظ من الليل مبكراً ليصلي صلاة التهجد وينهي اوراده وتسبيحاته قبل صلاة الفجر بساعة، ثم يتضرع باسطاً يديه للدعاء رافعاً بها الى السماء فيطيل في الدعاء بمقدار ساعة كاملة تقريباً ونحن في هذا الوقت لانجرأ على دخول غرفة الاستاذ حتى يفرغ من دعائه، علماً انه كان ينام بعد صلاة العشاء مباشرة دون انتظار شئ»(١١).

• بيع الجرائد

كان الاخ «زبير»(١٢) غيوراً جداً على الايمان بحيث لايمكن لاحدنا ان يتشبه به. فكان يهتم بمسائل لاتخطر لنا على بال. فمثلاً:

---

(١٠) اسماء الاقضية والنواحي التي حول ولاية اسپارطة.

(١١) Son Şahitler ٣/٤٨.

(١٢) «١٩٢٠– ١٩٧١» ولد في احدى الاقضية التابعة لولاية (قونيا) وبعد اكمال الدراسة المتوسطة عين موظفاً في دائرة البرق. ثم نذر نفسه لخدمة الايمان والقرآن من خلال نشر رسائل النور كان مثالاً للاخلاص والمثابرة حتى اصبح اقرب تلاميذ الاستاذ اليه، تولى ادارة طلاب النور بعد وفاته. له رسالة صغيرة في محاسبة النفس وتقوية الارادة. مع مقالات ومذكرات خاصة. رحمه الله رحمة واسعة.

عندما صدر العدد الاول لجريدة (الاتحاد)[١٣] قام ببيعها بنفسه وعلى جسر (غلَطه)[١٤]. وعندما رجع الى انقرة سألته:

– ما الذي دعاك الى القيام بهذا العمل؟ فهل اصبحت بائعاً للجرائد؟! هذا عمل يقوم به الصبيان! فلماذا تشغل نفسك ببيع الجرائد؟.

– انت محق! ولكن كيف يمكننا ان نعرف برسائل النور وبالاستاذ للناس؟. ألم يطلب الاستاذ منا ان نقرأ له الجرائد[١٥] ألم يراقب الاستاذ ما نشره اليمين؟ فان كان في بيع الجرائد عشر سيئات ففيه ايضاً مئة حسنة. ألا تعلم ان في بيع الجرائد اذلال للنفس وكسر لغلوائها وكبرها. فيا اخي انا لا ابالي طالما اعرّف رسائل النور – وهي تفسير القرآن – واعرّف الاستاذ – وهو مفسر القرآن – فلنكن ضد رغبات نفوسنا الامارة بالسوء.. فقد بعت الجرائد طلباً الى هذه الامور وحضاً لها»[١٦].

● لا تعب في الخدمة

«لم يكن للاستاذ اي وقت فراغ طول حياته. فهو اما يقرأ او يصحح او يُقرأ له وهو يستمع.. كان في كلامه لطافة جمة وفيض كبير، اذ ما كنا لنتضايق ولانملّ حتى لو طال الدرس من الصباح حتى المساء، وما كنا نضجر لو مشينا طريقاً طويلاً معه وابتلينا بمصاعب معه او نال منا الجوع ما نال. وكلما شعرنا بضيق ننظر الى وجهه الوضاح فترتاح نفوسنا وتنشرح صدورنا ونتحمس للعمل بشوق اكثر دون توقف ليلاً ونهاراً، رغم اننا قد لاننام. فقد كنا نسهر الليالي الطوال من دون ان نشعر بالتعب لاجل الخدمة في نشر حقائق القرآن»[١٧].

---

(١٤) هو الجسر المشهور الذي يربط القسم الجديد بالقديم من اسطنبول.

(١٥) بعد صدور تلك الجريدة بدأ الاستاذ يستقرئ (زبير) الجرائد اليومية، علماً انه اعتزلها منذ سنة ١٩٢٥، اي ربع قرن كامل.

(١٦) Son Şahitler ٣/١٠٧.

(١٧) Son Şahitler ٣/٥١.

• لاحياة لنصف انسان

« عندما كان كتاب (تاريخ حياة الاستاذ)[١٨] تحت الطبع، وصلت رسالة الى الاستاذ يسأل فيها صاحبها عن جواز الصورة (الفوتوغرافية) قرأنا الرسالة على الاستاذ فتبسم وطلب قلم رصاص وجئنا له بالقلم فمر بخط على عنق الصورة وقال معقباً:

– لاحياة لنصف انسان. فابعثوا له بالجواب مقروناً بهذه الصورة بهذا الشكل.

• وهناك حادثة اشبه بهذه وهي انه:

بعدما اخلي سبيل الاستاذ من سجن (آفيون) أستأجر بيتاً وبقي الاخ (زبير) معه في خدمته وملازمته.

في احد الايام جاء الاخ (طاهري) من مدينة (اسپارطة) لزيارة الاستاذ فبات ليلة واحدة ضيفاً عند الاستاذ.

فكان الاخ طاهري يخرج محفظته من جيبه كلما اراد ان يدخل الصلاة لاحتواء النقود على صورة انسان.

وفي الصباح الباكر وبعد ان ودع الاخ (طاهري) استاذنا قصد محطة نقل المسافرين، وعندما همّ بقطع تذكرة السفر فطن انه نسي محفظته في دار الاستاذ، واسرع بالرجوع الى دار الاستاذ واستأذن بالدخول واتاه الاخ زبير بمحفظته فلمحه الاستاذ وقال له:

---

(١٨) « تاريخجه حيات او سيرة ذاتية » كتبها طلاب النور وأقرها الاستاذ، وطبع الكتاب قبل وفاته وقد ضم الكتاب علاوة على صور الاستاذ النورسي واماكن منفاه تاريخاً كاملاً لحياة الاستاذ النورسي ولرسائل النور وفيه مقتطفات ومستلات كثيرة جداً من الرسائل. يقع في (٦٥٠) صفحة من القطع الكبير.

ـ لاتكرر هذا مرة اخرى، فلا حياة لنصف انسان!»[١٩].

• لا اعمل بالرؤيا

«في احد الايام بعث احد الاخوة من مدينة (دياربكر) برسالة الى الاستاذ يكتب فيها ما رآه احد الاخوة هناك من رؤيا صالحة.

فقد رأى فيما يرى النائم مجلساً يحضره الرسول العظيم ﷺ ومعه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم والشيخ عبدالقادر الكيلاني «قدس الله سره» فيدخل عليهم جبريل «عليه السلام» ويقول لهم:

ـ ان طبع الرسائل ونشرها والقيام بخدمة القرآن على هذه الشاكلة المعنوية قد انتهى دوره حيث جاء دور الجهاد المادي. قرأنا الرسالة على الاستاذ فطلب الاستاذ ورقاً وقلماً في الحال واملى علينا هذا الجواب:

ـ ان ما رأيتموه من رؤيا يا اخي هو رؤيا مباركة ولكنها تحتاج الى تأويل وتعبير وتفسير. فالجهاد المادي في الرؤيا هو الجهاد المعنوي في سبيل خدمة الايمان، لان الظهور على الاعداء والغلبة عليهم لايقتصر على الجهاد المادي، فرؤياكم اشارة الى انتصار البراهين الايمانية المعنوية الساطعة على الكفر المطلق، فأياكم والتأويل المادي، والظن بأن الجهاد هو جهاد مادي فحسب، هذا فضلاً عن انني لا اعمل بالرؤيا»[٢٠].

• احساس مرهف

عندما كان المرض ينتاب الاستاذ كنا نخبره اخباراً سارة وبشارات تفرحه، وكان يؤيدنا في عملنا هذا ويقول:

---

(١٩) Son Şahitler ٣/١٠٠.

(٢٠) Son Şahitler ٣/١٠٠.

– لقد اصبحت رهيف الحس، حتى انني لأحزن حزناً شديداً على اتفه شئ..

كنا منتبهين الى هذه النقطة، فنستبطئ في تبليغ الاخبار التي تؤثر فيه.

وفي الحقيقة ما كان الاستاذ يعاني من مرض عضوي – سوى تشنجات في الظهر والكتف – الا انه في الغالب كان مرضه ومعاناته معنويين، فاذا ما حدث حادث في العالم الاسلامي ضد القرآن ورسائل النور نراه يضطرب ويتألم حتى يبح صوته فلا يسمع الا الهمس، وتظهر عليه علامات الانفعال والغضب، فكنا نعرف من حالاته هذه ان حادثة ما قد حدثت ضد الاسلام. نعم كان حساساً الى درجة كأنه الرادار.. ولقد رأينا مئات من امثال هذه الحوادث مع الاستاذ.

ولهذا كان يقول في اخريات ايامه:

– ارجو الا تسمعوني اخباراً تعصر قلبي.. اروا لي الحوادث المفرحة ما استطعتم فقد اصبحت حساساً جداً (٢١).

● خدمة الايمان

«كان الاستاذ يرشد طلابه في دروسه التي يمليها علينا قائلاً:

اخواني، ان وظيفتنا هي خدمة الايمان والقرآن الكريم باخلاص تام. اما توفيقنا ونجاحنا في العمل واقبال الناس الينا ودفع المعارضين عنا، فهو موكول الى الله سبحانه، فنحن لانتدخل في هذه الامور. وحتى لو غلبنا فلا ينقصنا هذا شيئاً من قوتنا المعنوية ولا يقعدنا عن خدمتنا، فعلينا بالثقة والاطمئنان والقناعة انطلاقاً من هذه النقطة. مثال هذا:

---

(٢١) Son Şahitler ٣/٩٦.

« كان خوازم شاه – وهو احد ابطال الاسلام الذي انتصر على جيش جنكيز خان انتصارات عديدة – كان يتقدم جيشه الى الحرب، فخاطبه وزراؤه ومقربوه: سيظهرك الله على عدوك، وتنتصر عليهم!

فاجابهم: « ان ما عليّ هو الجهاد في سبيل الله اتباعاً لامره سبحانه، ولا حق لي فيما لم أكلف به من شؤونه، فالنصر والهزيمة انما هي من تقديره هو سبحانه »(٢٢).

وانا اقول مقتدياً بذلك البطل:

– ان وظيفتي هي خدمة الايمان، اما قبول الناس للايمان والرضى به فهذا امر موكول الى الله. فانا عليّ ان أؤدي ما عليّ من واجب، ولا اتدخل فيما هو شؤونه سبحانه »(٢٣).

● **حسن الظن**

ويذكر « بيرام » طرفاً مما دار في درس الاستاذ وكيف كان حسن الظن الاساس في العمل، واسلوبه في الفصل بين المتنازعين.

« لم يكن الاستاذ يقبل ان يغتاب احد امامه، فاذا ما قلنا في مجلسه:

– يا استاذنا ان فلاناً قال كذا وكذا...

يجيبنا بقوله: انتم على خطأ انه صديق حميم لي، وهو من قراء رسائل النور، وشخص مثله لايقول ماتذكرونه عنه. كأنكم تريدون ان تقطعوا ما بيننا من علاقات ووشائج.

واحياناً كانت ترده رسالة او يقول له احد:

---

(٢٢) يراجع اللمعة السابعة عشرة المذكورة الثالثة عشرة – اللمعات

(٢٣) Son Şahitler ٣/٩٦.

– ان العالم الفلاني يعادي الاستاذ ورسائل النور، ويقول الاستاذ:

– ان هذا الرجل هو من اهل العلم فهو صديقنا، فيضطر القائل ان يسكت وكان دائماً يحاول ان يؤول الامور بحسن الظن ويحثنا على ذلك ويقول:

– نحن مكلفون بحسن الظن.

وذات مرة جاءت من مدينة (قونيا)[٢٤] جماعتان من طلاب النور لزيارة الاستاذ فشكت الجماعة الاولى من تصرفات الجماعة الثانية الى الاستاذ قائلين:

– انهم لايأخذون حذرهم ولا يحتاطون للامر بل يقومون بالقاء الدرس في المسجد. والجماعة الثانية شكت ايضاً من الجماعة الاولى، فقال لهم: «اخوتي! ان الاسلام لاحاجة له بخدمتكم وعملكم بقدر ما هو بحاجة ماسة الى تساندكم وترابطكم، فعليكم ان تقرأوا بين حين وآخر كلا من رسائل: «الاخلاص» و«الاخوة» و«الهجومات الستة» فيما بينكم ذلك لان: تساندكم واخلاصكم وثباتكم وصلابتكم السائدة فيما بينكم منذ البداية ستكون مفخرة لهذه البلاد».

وعندما كان الاستاذ يدرّس مواضيع الفداء والتضحية يذكر طلابه في الولايات الشرقية[٢٥] ذكراً حسناً ويضرب بهم الامثال العالية[٢٦].

---

(٢٤) مدينة مشهورة في اواسط الاناضول تضم ضريح جلال الدين الرومي.

(٢٥) المقصود (وان، بتليس، سعرد...) وغيرها.

(٢٦) Son Şahitler ٣/٩٩.

• كيف كانت الرسائل تكتب؟

عندما كنا نذهب الى الاخ الحافظ توفيق[٢٧] كان يرينا الاماكن التي ألف الاستاذ فيها الرسائل ويدلنا عليها. وفي احدى زياراتنا له قال اذكر لكم خاطرة من حياة الاستاذ وكيف كان يؤلف الرسائل:

« كنا نذهب مع الاستاذ للتجوال في المروج الخضر فيجلس هو في مكان مناسب وينظر الى نقطة معينة، ويتكلم بصورة سريعة جداً. وانا اكتب كل ما يقوله بسرعة ايضاً ويؤشر بيده اليّ ويقول:

– اكتب يا اخي.. وهو يركز نظره في نقطة معينة وبعد ذلك يقول:

– قف، قد انقطع، اذهب الى طرد الذباب (عبارة ترمز الى الذهاب للتدخين بعيداً عنه).

والحقيقة انني كنت ادخن بكثرة. فاذهب الى مكان بعيد عن الاستاذ واجلس وراء صخرة فادخن ثم ارجع الى الاستاذ ونستمر بالكتابة ايضاً.

هنالك رسائل قد الفت خلال ساعة او ساعتين. وايم الله لقد كنت استنسخ الرسائل نفسها في البيت فلم اكن انهيها لا في ساعة او ساعتين ولا في يوم او يومين بل اكثر»[٢٨].

• مرض العصر

« كان الاستاذ يتحدث في اغلب دروسه عن: الاخوة والاخلاص. فكان يشخص مرض زماننا هذا بـ: الغرور والانانية وحب النفس.

---

(٢٧) «١٨٨٧– ١٩٦٥» من اوائل طلاب النور ومن كتاب رسائل النور، يلقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم وبالشامي لطول بقائه بالشام بصحبة والده الذي كان ضابطاً هناك، وهو المشهود له بالصلاح والعلم والتقوى، لازم الاستاذ في بارلا وفي سجون اسكي شهر ودنيزلي، تغمده الله برحمته.

(٢٨) Son Şahitler ٣/٧٤.

قال الاخ (زبير) يوماً:

– استاذي الحبيب! انني اكاد ارتعد من خوفي من الغرور والانانية.

فاجابه الاستاذ:

نعم، خف وارتعد من الغرور. ففي هذا الزمان – وهو زمان الغفلة عن الله – ترى اصحاب الافكار المنحرفة عن الدين يجعلون كل شئ آلة ووسيلة لمصالحهم الخاصة، فتراهم يستخدمون الدين والعمل الاخروي وسيلة لمغانم دنيوية. الا ان حقائق الايمان والعمل لنشر رسائل النور.. هذا العمل المقدس لايمكن ان يكون وسيلة لجر مغانم دنيوية قط، ولن تكون غايته سوى رضى الله سبحانه... بيد ان الاصطدامات التي تحدث جراء التيارات السياسية الضالة تجعل المحافظة على الاخلاص، والحيلولة دون جعل الدين وسيلة للدينا عسيرة.. والحل الوحيد امام هذه التيارات هو الاستاذ الى العناية الالهية واستمداد القوة منها»(٣٠).

● مزيداً من القراءة

«مضت اعوام عديدة، ونحن مع الاستاذ ولم نر منه انه صرف جزءاً من وقته سدى، بل كان يقرأ الرسائل او يصحح ما كان منها مستنسخاً او يستقرئ وهو يستمع. ففي السنوات الاخيرة ظهر جهاز التسجيل وبدأنا نقرأ الرسائل ونسجلها على اشرطة التسجيل ثم نقدمها الى الاستاذ ليسمعها وكان يشوق الزائرين قائلا لهم:

– ظهر جهاز جديد يحفظ رسائل النور ويقرأها بشكل جميل وجذاب.

كان الاستاذ يسألنا في بعض الاحيان قائلا:

---

(٣٠) Son Şahitler ٣/٩٦.

– كم صفحة قرأتم اليوم؟

وكنا نجيبه:

– قرأنا ثلاث او خمس صفحات.

فيقول:

– اما انا فقد قرأت مئتي صفحة. وبالرغم من عجزي عن الكتابة فاكتب بشكل بطئ جداً. فقراءتي تختلف عن قراءتكم. فانتم تقرأون قراءة سطحية كقراءة الجرائد، ولكني اقرأ مع فهم المعاني والمقاصد وهاكم انظروا الى تصحيحاتي كذلك.

هذا وكان الاستاذ عندما يريد ان يقلب صفحات الرسائل كان يقلبها ببطء واعتناء من غير ان يؤذي الورقة ومن دون ان يبلل اصبعه لقلب الصفحة (٣١). ويقول لنا:

– الحمد لله، لقد قرأت اليوم هذا القدر فاستفدت كثيراً، فاليوم انشرح صدري وتوسع ايماني كثيراً. او يقول:

– سبحان الله، استفدت من هذه الرسالة استفادة جمة حتى كأنني لم ارها من قبل ابداً.

ويقول:

– اخواني، انظروا انن قد قرأت الى هذا الحد، فلم اجد فيه خطأ قط، فعند تأليف رسائل النور ساعدتنا العناية الالهية والحفظ الرباني. فهذا الامر لايأتي من مهارتنا ولا من قابليتنا بل هو احسان الهي وكرم منه ولطف بالانسان العاجز.

---

(٣١) وهذا الادب الجميل قد توارثه العلماء من تقليبهم صفحات المصحف الشريف وكتب التفاسير والحديث النبوي الشريف.

ويقول:

– لقد التحم في تأليف رسائل النور طي المكان وطي الزمان. اي انها اصبحت تنهي اعمالاً كثيرة في زمن قصير وهذا التسخير الرباني احسان من الله تعالى، وانا اكتبها كما تلهم الى قلبي وبشكلها الاصلي فلا اجرؤ على تغييرها (٣٢).

• لذة العلم

كنا في اسپارطة والاستاذ يقرأ لنا (المثنوي العربي النوري)(٣٣)ويشرحه احسن ما يكون، فكنا نجلس في الدرس خمس او ست ساعات والاستاذ كلما كان يقرأ يتجدد حيوية ونشاطاً وكأنه قد اصبح شاباً بعمر يناهز العشرين. اما نحن فلا نستطيع الصبر بهذا القدر من الدرس، اذ كان يبدأ من صلاة الفجر حتى صلاة الظهر. فقرأنا (المثنوي النوري) ثلاث مرات و (اشارات الاعجاز)(٣٤)الى نصفه رغم اننا لانفهم اللغة العربية الا شيئاً قليلاً ولكن الاخ «جايلان»(٣٥)كان يتقنها فالاستاذ لايبدأ بالدرس الا مع «جايلان»(٣٦).

---

(٣٢) Son Şahitler ٧٣/٣.

(٣٣) كتاب يضم بين دفتيه اثنا عشر رسالة من الرسائل العربية في بيان التوحيد والحشر واعجاز القرآن ودلائل النبوة وتضم خواطر دقيقة جداً في معرفة النفس وتزكيتها. وقد كتبه الاستاذ النورسي في مرحلة او قبيل تحوله الى سعيد الجديد، وعده احدى رسائل النور.

(٣٤) ألف الاستاذ النورسي هذه الرسالة القيمة اثناء الحرب العالمية الاولى عندما كان قائداً لقوات الانصار في جبهة القفقاس فكان يمليه على احد طلابه وهذا بدوره يسجل. وهو تفسير جليل للقرآن الكريم يبدأ من الفاتحة وينتهي في الآية الكريمة: ﴿ **وعلم آدم الاسماء كلها** ﴾. ويبين الاعجاز النظمي في الآيات. وقد كتبه الاستاذ باللغة العربية وفي غاية الايجاز.

(٣٥) هو من اوائل الشباب الذين خدموا الايمان والقرآن وتتلمذوا على يد الاستاذ النورسي، كان يملك قابليات فائقة وذكاء خارقاً حتى اصبح – وهو ما يزال طالباً في المتوسطة – من تلاميذ الاستاذ، وقام بخدمته خير قيام، ولازم الاستاذ حتى وفاته. ارتحل الى دار الخلود اثر حادثة سيارة في سنة ١٩٦٣ عن عمر يناهز الثالثة والثلاثين. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء.

(٣٦) Son Şahitler ٥٣/٣.

• قاعدة في القراءة

في احد الايام كان الاستاذ يقرأ (الحزب النوري)[٣٧] ويشرحه لنا وسألني عن مقدار ما فهمته من الدرس فأجبته بعدم الفهم، فبدأ الاستاذ يوضح الدرس اكثر فأكثر حتى فهمت الدرس فهماً تاماً. فخطر الى قلبي: (انني قد تكاملت اذ بدأت افهم اللغة العربية جيداً). ففي اثناء الدرس كنت قد فهمت كل شئ، ولكن ما ان خرجت من غرفة الاستاذ حتى وجدت دماغي وكأنه قد مسح مسحاً فلم يبق فيه شئ.

سألني الاستاذ ذات مرة في نهاية الدرس عن مدى فهمي له ايضاً. فأجبته قائلا:

– لم افهم الدرس جيداً. فالتفت الي ولطمني بلطف براحة يده قائلاً:

– انك فهمت الدرس كله، فيكفيك هذا القدر من الفهم. اخشى ان يدخل شئ في نفسك فتقول لقد تكاملت اذن وعندها لاتكون مؤهلاً للخدمة القرآنية. اذا لم تفهم الدرس اكثر من هذا فاكتف بهذا القدر منه. وساق مثلاً حول فهم الدرس وهو:

«اذا دخلت جماعة في بستان فانهم يتناولون من الفواكه كل بحسب ما تصل اليه قامته ويده. فالطويل يقطف من الاغصان العالية، والقصير يقطف من الاغصان الواطئة والقسم الآخر لايقطفون ولكن يدوسون عليها بأقدامهم ويسحقونها فان كنت انت ممن تشم رائحتها فحسب يكفيك ذلك. فاقنع بهذا واشكر الله عليه»[٣٨].

---

(٣٧) رسالة صغيرة باللغة العربية في التوحيد تفجر التفكير الرفيع بانوار التوحيد التي تغمر الموجودات، وتعرض الموجودات دلائل ناطقة للتوحيد ابتداء من السموات الى الذرات ضمن تسلسل تفكيري توحيدي عميق، فتكسب القلب الاطمئنان وتوسع مدارك الفكر وآفاق الخيال، وتعد هذه الرسالة نواة رسالة «الاية الكبرى». نشرت ضمن كتاب «التفكر الايماني الرفيع» في بيروت سنة ١٩٧٤.

(٣٨) Son Şahitler ٣/٧٢.

• كان يعلمنا كيف نفكر

« كان الاستاذ يرتقي التلال التي تشرف على مدينة (اسپارطة) ليشاهد فيما حواليها من مناظر الفطرة ومشاهد الطبيعة، وكانت الطريق مكسوة باشجار الفواكه وخاصة العنب. فيمسك الاستاذ بعنقود منها – دون ان يقطعه – ويعدّ حباته مبيناً لنا ما فيه من بدائع الصنعة الالهية والاتقان الرباني فيقول:

– انظروا وتأملوا في حلويات القدرة الالهية هذه..

فكان يعلمنا بهذا كيف نفكر في مخلوقات الله المبثوثة في معرض الله.. وهكذا كنا نتلقى دروساً ايمانية في التدبر وفق منهج القراءة في كتاب الكون المفتوح امامنا »(٤٠).

• زيارة المقابر

كلما كان الاستاذ يمر على قبر سواء على الطريق او في المقبرة، يدعو لهم بالخير.

وذات يوم وقف على مقبرة وقال:

– ان شواهد – اي الحجر المكتوب عليه اسم الميت – هذه القبور تذكرنا بالآخرة، وتنذرنا، فهي كالمعلم الحي لنا حيث هي شاخصة امامنا. ألا ترون ان هذه الاحجار ترشدنا الى دروس بليغة بلسان حالها وكأنها تقول لنا:

– انتم ايضاً قادمون الى هنا... لامناص.

وهكذا كان يعلمنا كيفية التفكير في الامور كلها، وعلمنا ادب زيارة القبور(٤١).

---

(٤٠) Son Şahitler ٣/٥٥.

(٤١) Son Şahitler ٣/٤٧.

• مطالعة الكون

«عندما كان الاستاذ يتجول في السهول الممتدة على مد البصر وبين المروج المزدهرة بالاثمار والازهار، كان يتصفح كتاب الكون المنظور بنظراته الدقيقة الواعية ويقرأ ما وراءه من معان ورموز، كمن يقرأ كتاباً مفتوحاً بين يديه بكل اهتمام وذوق، وكان يقول لنا اثناء ذهابنا وايابنا في السيارة:

– أأنتم تطالعون كتاب الكون ايضاً؟

كان للاستاذ علاقة متينة مع المخلوقات ويشفق كثيراً جداً عل الاشجار والحيوانات بل حتى على الاحجار ايضاً. فعندما يرى كلباً – مثلاً – في الطريق يشفق عليه ويبادرنا بالقول:

– هل لديكم كسرة خبز؟ فيأخذها ويعطيها للكلب.

ويقول: هذه حيوانات وفية، وان عدوها وعواءها ناشئان من صدقها ووفائها.

وكان عندما يرى في السهول السلحفاة – مثلاً – على حوافي السواقي يقول:

– ماشاء الله، بارك الله، ما اجملها من مخلوق، فالصنعة والاتقان في خلقها ليس بأقل منكم.

واحياناً عندما كان الاستاذ يرى مملكة النمل او يرانا نحرك حجراً وتحته مملكة النمل كان يعيد الحجر الى مكانه ويقول: «لاتقلقوا راحة هذه الحيوانات».

وعندما كان يلتقي في تجوله صيادي الارانب والطيور يقول لهم:

– لاتروعوا هذه الحيوانات ببنادقكم ولا تؤذوا غيرها.

وهكذا وبهذا الاسلوب كان ينصح الصيادين الهواة. حتى منع الكثيرين منهم من الصيد.

وعندما يلتقي مع الرعاة في السهول الخضراء وهم يرعون حيواناتهم في مروج بين الجبال والوديان والسهول، يلاطفهم ويقول لهم:

– انكم اذا ماديتم الصلاة في اوقاتها الخمسة خلال اليوم فان اليوم بكامله يصير بمثابة عبادة لكم، لانكم برعيكم هذا تقدمون خدمة كبيرة للبشرية فان انتفاع بني البشر من اصوافها ولحومها وحليبها والبانها هو بحكم الصدقة لكم، فلا تؤذوا اذن هذه الحيوانات البريئة النافعة.

ولم نكن نرى الاستاذ في تجواله في الفلوات فارغاً دون عمل ابداً فهو اما ينشغل بقراءة الجوشن او دلائل النور، خلاصة الخلاصة، حزب النوري، التحميدية، السكينة ، الاوراد القدسية (٤٢) التي كان يقرؤها كل يوم حتى اثناء تناول الشاي احياناً. وكنا نقرأ له من رسائل النور وهو يستمع ويتأمل ويتفكر او يصحح رسائل النور المستنسخة.

وفي تجوالنا هذا كان الاستاذ يتسلق اعالي الاشجار العالية ويفضل الصلاة على الصخور المرتفعة. وكان يقول لنا:

– لو كان فيّ قوة شبابكم هذا لما نزلت من هذه الجبال.

فكان يطالع ويتدبر في آيات كتاب الكائنات الكبير دائماً.

وعندما كنا في جبل (چام) ونحتاج الى اخشاب الاشجار فالاستاذ كان يمنعنا من قطع الاشجار كيفما اتفق بقوله: لاتقطعوا الاشجار فانها تذكر الله وتسبحه »(٤٣).

---

(٤٢) هذه اسماء الادعية التي يتضمنها كتاب « حزب انوار الحقائق النورية » منها ادعية مأثورة عن الرسول ﷺ ومنها عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، ومنها بعض ادعية الاولياء الصالحين من السلف او بعض فقرات ادعية الاستاذ النورسي نفسه.

(٤٣) Son Şahitler ٣/٥٩.

• دروس النور والسياسة

« كان الاستاذ يرشد الذين يأتون الى زيارته من السياسيين والمهتمين بالامور الاجتماعية قائلا لهم:

– ان طلاب النور ليس لهم اية علاقة مع السياسة، فيجب والحالة هذه ألا يتوجس اهل الدنيا من طلاب النور خيفة ابداً لاننا نعمل للآخرة وليس للدنيا. وبما ان غاية المنتسبين لرسائل النور هو ارضاء الله – سبحانه – وحده. فهم بقدر استطاعتهم لايرغبون في ان يتدخلوا بامور السياسة وتياراتها في المجتمع، لان الذين يأتون لتلقي الدروس الايمانية لايمكن ان ينظر اليهم نظرة الاغيار اذ لافرق بين صديق وعدو اثناء الدرس.

وذات يوم قال ايضاً:

– في الدروس الايمانية لايمكن التفرقة بين الطلاب، فان كان ابن مصطفى كمال جالساً في درس من دروس النور مع ابن عبدالمجيد « يقصد اخاه » لايميّز بينهم، فكل واحد يأخذ نصيبه من الدرس. بينما مسألة الانحياز في السياسة الى طرف معين يفسد هذا المعنى فيفسد الاخلاص، ولهذا السبب فقد تحمل طلاب النور المصاعب والاهوال والمضايقات لكي لايصبح النور آلة لاي شئ، فلم يمدوا ايديهم الى السياسة. وبما ان رسائل النور قد حطمت الكفر المطلق وحطمت الفوضى المتسترة تحت الكفر المطلق وقاومت الاستبداد المطلق الذي يلبسه الكفر المطلق فانها من هذه الجهة فقط قد تمس السياسة.

كان الاستاذ قد اثبت من خلال المصاعب والمتاعب التي مرت عليه خلال خمس وعشرين سنة بالمحاكمات وغيرها بأنه لايستبدل ملك الدنيا كلها وسلطنتها بأدنى مسألة ايمانية »(٤٤).

---

(٤٤) Son Şahitler ٣/٦٥.

• حديث الاستاذ

« كان الاستاذ يتكلم حسب المستويات سواء أكان المستمع من عوام الناس او من خواص العلماء، وكان يزوره احياناً اهل القرى او الرعاة فيتكلم معهم بنفس لغتهم ومستواهم وبنفس منكسرة متواضعة. فيصبح الزائر مسروراً وممتناً له. بينما اذا تكلم مع البروفسور تكلم عن علم الفلك او عن مساحة الكرة الارضية او قطرها ويستنتجه بالارقام او يتكلم عن دوران الارض حسب الدقائق والثواني ويحسب عدد قطرات الامطار التي تسقط على الارض في الدقيقة الواحدة... الخ فكان العجب والحيرة يأخذان بالالباب من علمه الغزير بهذه المسائل فبقولون:

– من اين لك هذه العلوم؟ فنحن لم نقرأ هذه المسائل قط بل نقرأ جزءاً منها الآن. فعند سماعهم الدرس لم يكونوا يستقرون على حالة واحدة من الجلوس فقد كانوا يقومون ويقعدون مع صيحات (الله اكبر) وذلك من شدة اعجابهم بالدرس.

كان هناك احد الاساتذة المشهورين هو البروفسور « علي فؤاد باشگل »(٤٥) يقول:

– انني معجب جداً بعلم الاستاذ. فلا يمكن المقارنة بين علم الاستاذ وبين علومنا التي تعلمناها. فالله سبحانه قد منحه علماً كالبحر. مهما غاص فيه غواص فلايمكن ان يسبر غوره او ان يصل الى قاعه. وعلاوة على علمه ومؤلفاته فقد حافظ على اللغة العثمانية وكتابتها في تركيا »(٤٦).

---

(٤٥) هو اول تركي حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من فرنسا. زاول التدريس في الجامعات التركية وشغل مناصب ادارية وعلمية وكان عضواً في محكمة لاهاي الدولية. رشح نفسه لرئاسة الجمهورية وانسحب منها، توفي ١٩٦٧.

(٤٦) Son Şahitler ٣/١٠٣.

• تأليف رسالة

كانت كتابة رسائل النور والانشغال بها شغلنا الشاغل مع اخواننا من طلاب رسائل النور في السجن[٤٧]. فعندما كنا نقترب من ردهة الاستاذ في السجن نسمع صوتاً كدوي النحل يترنم ليلاً ونهاراً. انها اصوات الاذكار والتسبيحات والدعاء والصلاة للاستاذ. كنا نراقب اعمال الاستاذ عن كثب، ففي اوقات متأخرة من الليل كنا نرقب ردهته واذا بمصباحه الخافت مضاء والاستاذ منشغل بالاذكار والادعية. وفي هذه الفترة التي كنا نعيشها في سجن – افيون – ألف احد « الشعاعات »[٤٨] وهو الخامس عشر المسمى برسالة « الحجة الزهراء » وفي هذه الفترة (فترة التأليف) كنا نمر – من وقت لآخر – من تحت شباك ردهة الاستاذ، وما ان يرانا الاستاذ حتى يرمي لنا علب كبريت، كان يضع في داخلها قسماً مما الفه من هذه الرسالة. فنحن بدورنا نستنسخ هذه المقتطفات نسخاً عديدة.. هكذا ألفت رسالة « الحجة الزهراء » واستنسخت واحتفظت[٤٩].

• الحذر

« كنا نشتري له رغيفاً واحداً في الاسبوع وعند الشراء كان يتفحص الخبز بدقة لانه كان هناك من يريد الاضرار بالاستاذ بدس السم في طعامه، فنحن ايضاً كنا لانأخذ ما يعطيه الخباز لنا، بل نختار بأنفسنا ما نريده. اما عند شرائنا اللبن فقد كنا نختار ماعوناً واحداً من بين مئات المواعين، فلا عجب في هذا العمل اذ الاستاذ قد سمَّم سبع عشرة مرة.

---

(٤٧) المقصود سجن (آفيون) الذي دخله الاستاذ مع زمرة من طلابه سنة ١٩٤٨ واطلق عليه: المدرسة اليوسفية الثالثة.

(٤٨) الشعاع الخامس عشر من مجموعة الشعاعات.

(٤٩) Son Şahitler ٣/٣٢.

وعندما كنا نجلب الماء للاستاذ كان الناس يريدون ان يساعدوننا لمعرفتهم لنا اننا خدام الاستاذ فكنا لانتكلم مع احد قطعاً ولانعطي الترمس لاحد حتى لو كان من طلاب النور، كنا نضع كل مانشتريه للاستاذ في اناء مغلق مسدود وذلك تجنباً من التسمم وكان يعطينا خمساً وعشرين قرشاً»(٥٠).

• **خمس ساعات**

«كان الاستاذ يأكل قليلاً جداً، وما كان يدخل الطعام على الطعام قط الا بعد مرور خمس ساعات كاملة، وما كان يشرب الماء بعد الاكل الا بعد ساعتين كاملتين. حيث كان ينظر الى الساعة فان كان باقياً عشر دقائق كي تكمل الساعتان يقول: لم يحن بعد موعد شرب الماء.

كان يشرب الماء بارداً جداً، فكنا نذهب الى اسپارطة لشراء الثلج من صيدلية هناك – حيث لم تكن الثلاجات متوفرة حينها – ونضع الثلج ونحفظه في ترمس خاص»(٥١).

• **دأبه مع طلابه: الاستشارة**

«لقد ضحى الاخ «زبير» حياته كلها في سبيل الايمان عن طريق نشر رسائل النور وخدمة الاستاذ فلو كانوا يقطعونه ارباً ارباً لكان ينهض ويهب قائلاً:

– رسائل النور .. رسائل النور (٥٢).

واذا كان طريح الفراش من شدة المرض ويسمع ان الشرطة قد قدمت اليه، كان يقوم ويعتدل ولايكاد يظهر عليه اثر المرض، لئلا يبدو منه الضعف امامهم.

---

(٥٠) Son Şahitler ٣/ ٤٤٨.

(٥١) Son Şahitler ٣/٣٩٥.

(٥٢) حيث ان رسائل النور تفسير القرآن الكريم لهذا العصر.

ولو حصل ان كتبت مقالة في الصحف حول الايمان والاسلام والشجاعة والفداء فهو اول من يتهم. وهو بدوره لايتراجع ولايتنازل ابداً عما قاله فيستمر في محاججتهم. كان الاخ زبير يطبق نفس ما يفعله الاستاذ، وكان الاستاذ يأتمنه على خدمته بل على اشغاله الخاصة وكثيراً ما كان يحول الموضوعات الاجتماعية والسياسية اولاً الى الاخ «زبير».

اما الاخ «صونكور» فكان الاستاذ كثيراً مايكلفه بأمور المقابلات الضرورية مع رجال الدولة وتوجيه بعض الرسائل التي تمس الحياة الاجتماعية.

كان دأب الاستاذ دائماً ان يفتح باباً للعقل والتفكير لدى طلابه فلا يسلب الارادة من الانسان كلياً بل كان يشير الى ما يأمر به اشارة فحسب. فكان ينادي «زبير» مثلاً ويستشيره:

– هل نعمل كذا وكذا يازبير؟

فالاخ «زبير» ما كان يعمل شيئاً ولايكتب اية رسالة الا بامر الاستاذ واستشارته. فقد كانت حياته كلها موقوفةً لرسائل النور، فيقوم برسائل النور ويجلس برسائل النور وينام برسائل النور وهو مع رسائل النور لايفارقها ساعة.

لله دره من تلميذ مخلص متفان لايجارى ولايكاد يكون له مثيل في شرف هذه الخدمة العظيمة بين طلبة النور كلهم(٥٣).

• تهنئة الطلاب

«عندما كنا ندخل الاشهر الثلاثة (رجب ، شعبان، رمضان) كان الاستاذ يهنئ طلابه بحلول هذه الشهور فيرسل رسائل ملحقة «الملاحق» فكان دائم الصلة مع طلابه فمثلاً:

---

(٥٣) Son Şahitler ٣/١٠٦.

«نهنئكم اولاً بحلول الشهور الثلاثة وبالايام المباركة الموجودة فيها واسأل الله سبحانه ان يثيبكم بكل يوم من هذه الايام بمثل ثواب ليلة الرغائب – وهي ليلة النصف من شعبان – وبمثل ثواب ليلة القدر، ونسأله تعالى ان يجعل لنا ليلة البراءة وليالي شهر رمضان الاتي وبخاصة ليلة القدر منها خير من الف شهر ونتوسل اليه ان يسجل في دفاتر اعمالنا مثل ذلك بالتمام. واهنئكم بليلة المعراج واسأل الله سبحانه ان يقبل دعواتنا في هذه الليلة.

اخواني الاعزاء:

اهنئكم تهنئة حارة بالشهر المبارك شهر رمضان واسأل الله سبحانه ان يجعل لنا ليلة القدر التي تعادل عمراً يناهز الثمانين سنة مقبولة لنا.

كان الاستاذ يرسل لنا الرسائل على هذه الصورة لكي يهنئنا بالاخبار المفرحة ويبشرنا ببعض البشريات حول رسائل النور»(٥٤).

• نظرة غير اعتيادية

عندما كنا ننظر الى الاستاذ نظرة غير اعتيادية، اي فيها اجلال وتعظيم وانه رجل صالح من الاولياء، نشعر ان لونه يتغير بسرعة ويستثقل هذه النظرة منا اليه، حتى انه ما كان يحب ان ننشغل كثيراً بامور الطبخ واحضار الشاي من اموره الشخصية. بل كان يوجه انظارنا دائماً الى رسائل النور وخدمة القرآن.

واذا قدر ان دخل عليه احدنا وهو يتناول الطعام، فلا محالة يقدم له شيئاً منه ويقول:

---

(٥٤) Son Şahitler ٣/٩٢.

ـ ان لم اقدم لكم ما انعم الله عليّ فسوف اتأذى.

واحياناً كان يلاطفنا بعصا يضربنا بها ويقول:

ـ ان طلابي في الولايات الشرقية كانوا يشرحون صدري بتسلياتهم وبشاراتهم فبشروني انتم كذلك (٥٥).

• جنود في الخدمة

«عندما دخلت رسائل النور المطابع(٥٦)وبدأت بالانتشار لم تكن ترى الاستاذ جالساً في مكانه قط بل كان يصول ويجول في فعالية مستمرة ونشاط دائم، كان فرحاً سعيداً دائماً بحيث يكاد يطير من فرحه.

وكنا نذهب احياناً مشياً على الاقدام او بالسيارة الى مناطق مختلفة كحدائق الزهور في اسپارطة، او حدائق بارلا، او حافات بحيرة اكريدر، او المقبرة، وغيرها من الاماكن، فقد كانت هذه الاماكن تعتبر بمثابة منازل نور صغيرة، فكنا نجول فيها ثم نعود وقد امتلأت قلوبنا بأفراح ملء الدنيا من مباهج النور ومعاني الايمان.

كان الاستاذ يركب فرساً وكان احدنا يأخذ بزمام الفرس والثاني يمسك الاستاذ خشية سقوطه وذلك لكبر سنه والثالث يحمل سجادته وترمسه وابريقه. هكذا كنا نسير مشياً على الاقدام الى ان نقطع الطريق من اگريدر الى بارلا.

ومتى ما كان يرانا الاستاذ دون عمل، او قاعدين بلا شغل يقول:

ـ هيا.. تعالوا ليقرأ احدكم الدرس، وليذهب الاخر الى جلب الماء، وليعد الثالث الطعام.

---

(٥٥) Son Şahitler ٣/٩٧.

(٥٦) وذلك سنة ١٩٥٥.

هكذا كان يفعل دائماً فكنا جنوداً في معسكر الجهاد ولخدمة الايمان من خلال رسائل النور»(٥٧).

• الاستاذ يربي النفوس

عندما يأتي احدهم حديثاً الى مجلس الاستاذ كان الاستاذ يهتم به ويلاطفه ولايكلفه كثيراً. ويبدأ بالقاء دروسه في «الاخوة والاخلاص» ويتكلم معه في الفداء والوفاء ويبدأ معه برحلة الدرس ببطء وبصورة تدريجية. ويسلك معه سبيل الرفق، ويستخدمه لاعماله الخاصة ايضاً بصورة تدريجية. فكان الاخ «زبير» اكثر منا تضحية للاستاذ، لكأن ايمانه قلعة محصنة، فقد كان فدائياً عجيباً حقاً. حتى انه في بعض الاحيان عندما يغضب الاستاذ ويسخط علينا بعمل لم نقم به على الوجه المطلوب فانه يقوم بضرب الاخ «زبير» بدلا عنا. فلقد ربى الاستاذ نفس الاخ «زبير» تربية راقية كاملة. اذ كان الاستاذ يقول له: انت كالحجر، انت شجر، انت تراب ميت، وغيرها من الكلمات الاخرى التي تؤذي نفس الاخ «زبير»، كان الاخ «زبير» يجيبه بكل ادب وتسليم:

– نعم .. يا استاذي.

فلم يكن يعارض قطعاً ولايخطر على قلبه اي شئ مما قد يخطر عادة على النفس في مثل هذه المواقف من ظن او عتاب او شكوى على الاستاذ.

فقد كان ذائباً في حب الاستاذ ذوباناً لا يجهله القريب والبعيد(٥٨).

---

(٥٧) Son Şahitler ٣/٥٤.

(٥٨) Son Şahitler ٣/١٠٥.

• التأويل المطلوب

« كان الاستاذ يتجنب كثيراً حوادث الكرامات التي يظهرها الله على يديه، وكان يصرف عنها الانظار الى امور اخرى، فمثلاً:

« عندما كنا ننقل من سجن قسطموني الى سجن دنيزلي، كان الوالي (نوزاد تان دوغان) واعوانه من رجال الامن في استقبالنا يترصدوننا في محطة القطار، وكأنما كانوا ينتظرون انزال العقاب على الاستاذ حالما يرونه متلبساً بجريمة مشهودة (وهي لبس العمامة) وعدم لبس القبعة.

ولكن الاستاذ في هذه الاثناء حلّ لفافة رأسه (عمامته) ثم ركب القطار. فتعجب الوالي واعوانه من هذا العمل كثيراً وصاروا يتساءلون فيما بينهم:

– كيف علم بأننا كنا نريد القبض عليه متلبساً بالجريمة المشهودة؟!

وهكذا نجا الاستاذ بعمله هذا من شر متوقع كانوا قد دبروا له من قبل.

ولما سئل الاستاذ عن ذلك اجاب:

– لم تكن تلك كرامة بل كان انتصار برغوث على وال!.

اي عندما ركب القطار دخل برغوث في لفافة رأسه (عمامته) مما اضطره الى حل اللفافة حالا. فالاستاذ اول هذه الكرامة بانها من البرغوث وليس منه.

وما اكثر ما كان يحدث مثل هذه الحوادث في سجن (آفيون واسكي شهر ودنيزلي) والاستاذ يفسرها لنا قائلاً:

– ان هذه الكرامات ليست مني وانما هي من بركات رسائل النور [٥٩].

---

(٥٩) Son Şahitler ٣/٩٧.

الاستاذ النورسي اثر تسممه في سجن «آفيون» سنة ١٩٤٨

ذكريات اخرى

• قصتي مع رسائل النور

كنت اتذكر دروسي مع احد الاصدقاء. شاهدنا كتاباً حول تاريخ حياة بديع الزمان (سعيد النورسي) قد وزع ونشر. فاخذت الكتاب، واول ما فتحته شاهدت فيه موضوعاً يتناول حوار (بديع الزمان) مع مصطفى كمال حول فريضة الصلاة. ثم فتحته ثانية واذا بي ارى سطراً مكتوباً فيه: «ان طلاب النور ليسوا نفعيين ولايعيشون عالة على الآخرين بل يكسبون معيشتهم بعرق الجبين» ثم فتحت ثالثة واذا بي ارى احدى مرافعات الاستاذ ودفاعه في المحكمة.

فهذه المواقف التي شاهدتها في الكتاب جذبتني الى قراءة رسائل النور والى رؤية مؤلفها ورؤية طلابه والتعرف عليهم بنفسي. فقد كنت في شوق الى تفسير للقرآن الكريم يلائم عصرنا هذا.

وفي عام ١٩٥٣ ذهبت لزيارة بديع الزمان في قونيا، وجلست عنده فسرّته زيارتي اليه وانشرح كثيراً لاستمراري في المدرسة الدينية[١] وقال:

– اني اعتبر هذه المدارس كالمدارس المباركة في العصور السابقة. ثم قال:

– لو كان مولانا (جلال الدين الرومي) في هذا العصر لكتب «رسائل النور» ولو كنت انا في ذلك العصر لكتبت «المثنوي»[٢]. ذلك لان خدمة

---

(١) افتتحت منذ سنة ١٩٥٠ في تركيا مدارس للامامة والخطابة وما زالت قائمة.

(٢) المقصود: المثنوي الذي كتبه شعراً جلال الدين الرومي.

الايمان والقرآن في عصره كانت على ذلك النمط اي بـ(المثنوي) واما الآن فان الخدمة على منهج رسائل النور.

ثم أفهمني بعلو شأن رسائل النور وكيف ان الخطط المرسومة ضد الاسلام من قبل الشيوعية والصهيونية قد اخفقتها رسائل النور. ثم استمر بالقول:

– ان مجابهتهم والتصدي لهم او حتى النقاش معهم لايكون الا بقراءة رسائل النور. فالرسالة الواحدة تقابل آلاف الخطط الخفية ضد الاسلام حيث انها تخاطب جميع الطبقات ابتداءاً من الامي وانتهاء الى الفيلسوف.

فالحقائق التي فهمتموها من الامثلة التي تسوقها رسائل النور تكفيكم. كالذي يدخل بستاناً مزدهراً بالتفاح يكفيه ماتصل اليه يده اما الذي لاتصل اليه يده فذلك حصة طويلي القامة. فالذي لايستوعب رسائل النور عليه الا ييأس من عدم فهمها، فانني ايضاً محتاج الى رسائل النور مثلكم فكلما اقرأها مرة بعد مرة آخذ قسطاً من درسي وافهم اكثر. ومضى في حديثه قائلاً:

أتاني امس اثنان: احدهما من العلماء والآخر مراسل صحفي فلم اسمح لهم بزيارتي، ولكن انتم لانكم قد اتيتم الى هنا بنية خالصة لله، ولاجل فهم رسائل النور فلم ارفض استقبالكم»(٣).

• انا لاشئ

«في الوقت الذي كان كتاب (تاريخ حياة الاستاذ) اثناء الطبع صمم الاخ (عبدالنور) غلاف الكتاب وهو عبارة عن صورة الاستاذ يضع الحجر الاساس لجامع توغاي في (اسپارطة) فذهبت الى زيارة الاستاذ وفي يدي تصميم الغلاف. فسأل الاستاذ:

---

(٣) Son Şahitler ٤/ ١٥٢ من احمد گوموش.

– ماذا بيدك؟

– غلاف كتاب تاريخ الحياة يا استاذي وقد صممه الاخ عبدالنور.

وما ان رأى الاستاذ الصورة حتى غضب غضباً شديداً وقال:

– ما هذه الصورة؟ انتم تهتمون بشخصيتي اكثر مما استحق، فانا اعد الاهتمام والاحترام لشخصي اهانة لي، لانكم بذلك تتعلقون بي وليس برسائل النور – المرتبطة بالقرآن الكريم – فانا لا احب نفسي... انني لاشئ، انا عدم، فلا تنتظروا مني شيئاً من الخوارق... وبعد ذلك مزق الصورة المرسومة على الغلاف ورماها في سلة المهملات (٤).

● **ارفض الثناء**

«في احدى زياراتي للاستاذ جاء الاخ (كامل) وهو طالب في كلية الالهيات واتى معه بمقدمة كتاب تاريخ حياة الاستاذ التي كتبها (الحاج علي علوي)(٥) الذي يسكن في المدينة المنورة فطلب الاستاذ ان نقرأ له هذه المقدمة ثم قال بعد الاستماع اليها:

تكتب في مستهل هذه المقالة «كاتب هذه المقدمة شخصية كبيرة من المدينة المنورة» ومضى يقول:

– اخي ان (علي علوي) اثنى في مقدمته على رسائل النور اكثر من ثنائه على شخصي، فلو كان ثناؤه عليّ اكثر من رسائل النور لكنت ارفض مقالته. ولكن لانه قد اثنى على رسائل النور فقد رضيت وقبلت»(٦).

---

(٤) Son Şahitler ٤ / ١٥٣ من احمد گوموش.

(٥) شاعر تركي مشهور وعالم جليل.

(٦) Son Şahitler ٤ / ١٥٨.

• حلوى الدرس

« كان من عادة الاستاذ تكريم طلابه بعد دروس الصباح باي شئ متيسر كالتفاح او البقلاوة او الزبيب. فيسميه (حلوى الدرس) فعندما كان يأتي دور حلوى الدرس يسحب القرعة بينهم ويعتبر نفسه كاي طالب من الطلاب، ويبدأ من وقعت عليه القرعة بالاكل اولا، وهكذا كان الاستاذ يظهر نفسه كانه طالب معنا حول دراسة رسائل النور. وكنا اذا نظرنا اليه نظرة تقدير وتعظيم يحس حالا ويقول:

– لماذا تتفرس في وجهي، انني لا احب نفسي، ولا احب من يعظمني بما لا استحق.

وقد خطر لي خاطر قلبي ذات يوم، اذ قلت:

– ان مؤلف هذه الرسائل والكتب لاشك انه رجل عظيم.

واذا بالاستاذ يلتفت اليّ قائلاً:

– انك تمنحني مقاماً عالياً وترفعني الى درجات؟!

وبهذا حذرني ان اتفوه بكلام كهذا بعد »(٧).

• ترجمة اشارات الاعجاز

في عام ١٩٥٥ كنت في مدينة (قونيا) وذات يوم وانا جالس في حانوت احد الاصدقاء، دار الحديث حول رسائل النور ولاسيما رسالة (اشارات الاعجاز). كنا نتحدث عن الظروف التي احاطت بالاستاذ حين تأليفه لها. حيث كان على صهوة جواده ويخوض معارك الحرب العالمية الاولى حاملاً بين

---

(٧) Son Şahitler ٤ / ١٥٨

جنبيه معنويات سامية من روح الاستشهاد. فقلنا: لما كانت رسالة (اشارات الاعجاز) تبحث عن اعجاز القرآن الكريم فلا يقدر على ترجمتها الا اخوه «عبدالمجيد»[٨]، فقلت لـ(عبدالمجيد) الذي كان معنا في المحل:

– هل من الممكن ترجمتها؟

– نعم.

كتبت الى «زبير» طالباً منه الاستفسار عن رأي الاستاذ في ترجمتها والتي سيقوم بها اخوه عبدالمجيد. فجاء الجواب بالموافقة على العمل لاعتقاده بحاجة مدينة (قونيا) لهذا الكتاب حيث فيها مدرسة الامامة والخطابة.

وعندما قرأ الاخ (عبدالمجيد) رسالة الاخ (زبير) التفت اليّ قائلاً:

– يانور عيني، لقد اكسبتني حياة جديدة اذ كنت بلا عمل فاصبحت انت سبباً في تكليف الاستاذ اياي بهذا العمل. وقبّلني من عيني.

هكذا بدأ الاخ عبدالمجيد بالترجمة. وكان كلما ترجم شيئاً منها ارسله باسمي الى الاخ (رشدي) وكان الاستاذ يراسل اخاه عبدالمجيد بواسطة احد الاصدقاء الذي يملك محلاً تجارياً فيرسل الاستاذ رسالته الى هذا المحل وآخذها من هناك واسلمها الى اخيه (عبدالمجيد) وهكذا استمر العمل الى ان تمت الترجمة تحت اشراف الاستاذ[٩].

---

(٨) هو اصغر اخوة الاستاذ النورسي. ترجم كثيراً من رسائله الى اللغة العربية الا انها نشرت في وقتها في نطاق ضيق وترجم الى التركية رسائله العربية (اشارات الاعجاز، والمثنوي العربي). كان مدرساً للغة العربية ثم مفتياً ثم مدرساً للعلوم الاسلامية في معهد الائمة والخطباء والمعهد الاسلامي العالي في قونيا توفي سنة ١٩٦٧ عن ثلاث وثمانين سنة من العمر، رحمه الله رحمة واسعة.

(٩) Son Şahitler ٤ / ١٥٣.

• الباب المفتوح

لقد دخلنا حظيرة الايمان بعد قراءتنا لرسائل النور...

في احد الايام والاستاذ جالس معنا. تكلم عن كيفية اعمال طلاب النور رعن خدمتهم وكميتهم، وعقّب كلامه قائلاً:

– اخي ليس هناك انسان لايفتح الله قلبه للاسلام، فعلى الذين يعملون في خدمة الاسلام ان يكونوا نابهين واعين، اذ الانسان يشبه قصراً ذا مئة باب، ولابد ان هناك باباً يدخل منه الى ذلك القصر، ثم تفتح الابواب كلها. بيد ان منافقي آسيا وزنادقة اوربا منذ الف سنة يعملون بالمكر والدسائس حتى اعموا عيون ابناء هذا الوطن وحجروا على عقولهم فصدوا تسعاً وتسعين باباً امام الاسلام، الا باب الفطرة فهو مفتوح دائماً. فالمؤمن بفراسته يمكنه ان يكشف الباب المفتوح، وعند الدخول من هذا الباب للاسلام سوف تفتح الابواب المسدودة الاخرى لاجل الاسلام. فاذا ماغذّي الانسان بموازين رسائل النور الملائمة لفطرته، ولم يستعجل الامور واخذ بالاخلاص وتمسك به فسينشرح باذن الله قلب الشخص المقابل للاسلام.

اما اذا ما بنى الانسان عمله على الاستعجال، ومناقشة الامور الجانبية، واتهام الشخص المقابل، فهذا يعني انه يتوجه الى الابواب المسدودة فيتسبب في غلق الباب المفتوح كذلك.

ان رسائل النور تهتم بالمحاكمات العقلية، (واخذ الامور بالمسلمات المنطقية والفطرية)، ثم تأخذ بيد القارئ الى دائرة الاسلام الفسيحة.

وعلى غرار هذا الكلام كان الاستاذ يحثنا ويشوقنا ويقينا من الشطط لنسعى مخلصين في اعمالنا ونخدم القرآن والايمان (١٠).

(١٠) Son Şahitler ٤ / ١٥٦.

• الطالب الأمثل في خدمة القرآن

اصيب الاخ (زبير) بمرض شديد ذات يوم حتى لم يطق الاشتراك في الدرس، فطلب منا ان نراعيه ونساعده.

فدخلنا الى الاستاذ – انا والاخ صونكور – لتلقي الدرس منه فسأل الاستاذ عن الاخ زبير:

– اين هو؟ فاردنا ان نكتم مرضه عنه ونبين حجة اخرى بأنه ذهب الى السوق! الا اننا لمْ نوفق الى اقناع الاستاذ بهذه الحجة. فغضب الاستاذ وقال:

– لا لن ادرس درساً ما لم يحضر (زبير)، اذهبوا اليه واتوا به حيثما كان. وعندما جئناه بزبير غضب غضباً شديداً وقال:

– كنت اظن بان زبيراً اذا قطع رأسه – وليس اصبعه – فان جسده يأتي مهرولاً بلا رأس يردد « رسائل النور .. رسائل النور »..لقد خيب املي بمرض مسّ اصبعه. اني اريد طالباً لايهتم بشئ ولو قطعت يده كاملة وليست اصبعه. فلن تكون هذه الامور – وامثالها – حجة للتقاعس عن هذه الدعوة المقدسة دعوة القرآن الكريم. ان (سعيداً) لم يتراجع قط عن التضحية برأسه في سبيل دعوة الحق بل ضحى بكل ما لديه لرسائل النور. يلزم رسائل النور طلاباً يفدونها بكل شئ في سبيل اعلاء كلمة الله.

وفي هذه الاثناء خطر الى قلبي – ما عجب امركم يا استاذي! انكم تعاتبون الاخ (زبير) بهذا العتاب المر وهو من هو في التضحية والفداء... اذن لم تجد رسائل النور لحد الآن طالباً لها.

فتوجه الاستاذ نحوي مباشرة وقال: لقد وجدنا انا ورسائل النور طالبنا المخلص.

نعم، كان الاستاذ يريد ان يرشد طلابه في شخص (زبير).

وكان الاستاذ بنفسه يتابع مراحل الطبع وينشغل مع ما الف حول رسائل النور وكان يعطي قراءة الجرائد الى (زبير) ليقرأها له وكان يبحث معه الموضوعات الاجتماعية، فعلاقة الاستاذ مع (زبير) كانت تختلف تماماً عن علاقته معنا (١١).

• الكمية تخدع

«كان الاستاذ يطلب منا دائماً ان نكون صادقين وصبورين ومضحين وثابتين في الخدمة القرآنية. قال لي ذات مرة:

– ياترى كم عدد الطلاب الذين يقرأون رسائل النور في مدرستكم؟ فاجبته:

– سبعون طالباً.

– يا للعجب، كنت اظن ان في تلك المدرسة طالباً واحداً يقرأ رسائل النور ولكنك تقول بانهم سبعون شخصاً! ومضى قائلاً:

– اخي، ان الكمية دائماً تخدع الانسان. ولكن الاهم هو النوعية، فلئن اصبحت وسيلة لتعريف رسائل النور الى شخصين اثنين يبحثان بفطرتهما عن رسائل النور، وكنت سبباً لانقاذ ايمانهما فقد انجزت وظيفتك طوال حياتك الدراسية، فالاخلاص ليس في الكمية بل في النوعية، وهذه هي الخدمة القرآنية.. ثم حدثت احداث لم يبق منهم فعلاً الا طالب واحد..!

بعد هذا التقيت الاستاذ في (اسپارطة) وقال لي:

---

(١١) Son Şahitler ١٥٩/٤

– لاتعطي الرسالة لاي شخص كان الا بعد معرفته معرفة جيدة، فكما لايُعطى اللحم للحصان فلا يعطى العشب للاسد. بل اعط العشب للحصان واللحم للاسد، فان لم يطلب منك احد رسائل النور عدة مرات فلا تعطها له فنحن لسنا ببائعي كتب. بل نعطي الرسالة الى من يشعر بالحاجة الماسة اليها، والمتلهف لها.

هكذا كان الاستاذ ينبهنا دائماً على الاخذ بالحيطة والحذر في مثل هذه الامور»[١٢].

• الايمان اولاً

يروي الاستاذ (علي اوزك)[١٣]

«عندما قدمت الى استانبول من مصر وانا مازلت طالباً في الازهر الشريف، استفسرت عن الاستاذ النورسي، فوجدته ساكناً في منطقة «فاتح»[١٤] في بيت خشبي قديم، ولدى زيارتي له في غرفته رأيته متمدداً على فراشه – من المرض – سلمت عليه، فرد السلام، ولكن حينما اخبرته بان الشيخ مصطفى صبري[١٥] يخصك بالسلام، جلس وعدل نفسه وقال بتقدير واكبار:

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. وماذا يقول الاستاذ مصطفى صبري؟

---

(١٢) Son Şahitler ٤ / ١٥٤.

(١٣) Son Şahitler ٤ / ٤٤١ وهو استاذ اللغة العربية وعميد المعهد الاسلامي العالي في استانبول، له مؤلفات قيمة في اختصاصه.

(١٤) احد احياء استانبول القديمة قرب الجامع الشهير بجامع السلطان محمد الفاتح.

(١٥) هو آخر «شيخ الاسلام» للدولة العثمانية، له مؤلفات قيمة باللغة العربية منها: (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين) ترك تركيا بعد سقوط الدولة العثمانية. سكن في مصر وتوفي هناك سنة ١٩٤٥ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين رحمه الله رحمة واسعة.

– سيدي الاستاذ يسأل الشيخ مصطفى صبري عن عدد طلابكم!

– لي خمسمائة الف طالب وخادم للقرآن الكريم!

– يقول الشيخ مصطفى صبري.. اذن ماذا ينتظر؟ ولماذا لايبدأ بجهاد اسلامي مع هذا العدد من طلابه؟

– بلغ سلامي له اولا، ثم قل له:

« ان دعوتنا هي الايمان، والجهاد يلي الايمان، وان زماننا هذا هو زمان خدمة الايمان ووظيفتنا هي الايمان وخدمتنا تنحصر في الايمان.. ».

ثم تكلم باسهاب عن موضوعات ايمانية، وعن كيفية القيام بخدمة الايمان، وعندما اردت المغادرة قام ليودعني فقبلت يده وودعته.

ولما رجعت الى مصر، زرت الشيخ مصطفى صبري، وكان طريح الفراش، وقد انهكه المرض وادركته الشيخوخة، حدثته عما دار بيني وبين الاستاذ النورسي في تركيا، فاستمع لي جيداً. ثم قال:

– حقاً ان الاستاذ النورسي هو المحق، نعم ان ماقاله صدق وصواب، فقد وفقه الله في مسعاه، اما نحن ، فقد اخطأنا، حيث ثبت هو في البلاد ونحن غادرناها.

وهكذا استصوب مصطفى صبري عمل بديع الزمان وقوله.

- **كرامة الحقائق الايمانية**

« لقد بدأت افهم سبب حدوث كرامات لبديع الزمان من خلال الحوادث التي مرت.

فالسبب الاول هو:

ان بديع الزمان كان خادماً للاسلام وفي ظروف صعبة وعصيبة جداً وتحت شروط صارمة لاتسمح لخدمة الاسلام بل يمكن القول انها ظروف يستحيل فيها العمل للاسلام. ولكي تستمر وتدوم هذه الخدمة فقد اقتضت الحكمة الالهية ان تظهر على يده هذه الكرامات.

اما السبب الثاني: فهو

ان تعلم الاسلام في تركيا اصبح غير ممكن او مستحيل (طوال ربع قرن اعتباراً من العشرينات الى ١٩٥٠) وعدم التعلم هذا يؤدي حتماً الى انعدام الحياة المعنوية. فحقاً ان اهل الضلالة في تلك الظروف كانوا يحقرون ويستهينون بالاسلام والمسلمين. فشخصية كبديع الزمان وهو يعاني الغربة والشيخوخة والفقر ان لم تكن له كرامات فمن ذا يرتبط به ولماذا؟

لذا ترى الاشخاص الذين ارتبطوا به برباط وثيق في بداية الامر هم في الاغلب قد جذبتهم هذه الكرامات التي ساقها الله على يده. فلذلك ترى ان قسماً من طلاب النور قد تركوا بيوتهم واعمالهم واخذوا على عاتقهم حفظ الايمان ثقة ببديع الزمان وما يقوم به من اعمال من دون ان يهتموا ماذا سيصبح مصيرهم فذهبوا معه الى المحاكم والى السجون دون ان يعلموا لماذا وكيف واين؟..

فاذا نظرنا الى التاريخ الحديث فنادراً ما نرى اشخاصاً محظوظين كبديع الزمان تقتدي به جموع غفيرة وهو يتقدمهم في زمن المستحيلات. وهنا احب ان اوضح هذه الحقيقة ايضاً فأقول:

ان الحقائق الايمانية التي تطرحها رسائل النور من ضرب الامثال والادلة الثابتة تؤثر على الانسان بدرجة الكرامات، فانا شخصياً كنت ابحث منذ

سنوات طويلة عن جواب بعض الاسئلة التي كانت تدور في ذهني فما استطعت ان اجدها في اي مكان، واخيراً وجدتها في رسائل النور بشكل واضح لاغبار عليه ولاضباب. واذا نظرنا الآن الى تاريخ حياة بديع الزمان نرى ان حياته واسلوب عيشه هي بحد ذاتها كرامة. فقد ترك اهله وبيته وكل ما يمت بصلة الى نفسه ومنفعته الشخصية، وكانت المشنقة امام عينيه دائماً فامضى شطراً طويلاً من حياته المديدة في السجون والمنفى لاجل قول الحق وتفهيم الحقائق الايمانية للناس. اما انا فان السبب الاساس الذي دفعني الى جانب بديع الزمان وقراءة رسائل النور هو انني كنت اقول:

– لماذا يتجول هؤلاء السكيرون والمخمورون ولاعبو القمار بكل راحة واطمئنان وحرية بينما يظل خدام الايمان والقرآن كبديع الزمان في السجون ويقضي حياته كلها هناك؟ فاذن يتحتم عليّ انا ان اضع يدي لاساعده بكل ما استطيع مساعدته ومساندته.

ففي عام ١٩٥٤– ١٩٥٥ كنت اقوم بنشر رسائل النور بل حتى تلك التي اعجز عن قراءتها(١٦). فالذين كنت اعطيهم من هذه الرسائل يقولون لي:

– عمّ تبحث هذه الكتب؟ فاقول لهم:

– انتم معلمون وعلماء فيمكنكم قراءتها والوقوف عليها اما انا فلا استطيع القراءة. ولكني سأحاول التعلم فبديع الزمان خادم الاسلام في السجن الآن ونحن نقوم بمؤازرته. فأقرأوا انتم واشرحوها لنا وقد كانوا بدورهم يشرحون ما كتبه الاستاذ لي. وانا يغمرني الفرح والسرور»(١٧).

---

(١٦) حيث انها كانت بالحروف العربية.

(١٧) Son Şahitler ٣ / ٣٠٦ من اسماعيل حكيم اوغلو – كاتب وقاص له مؤلفات كثيرة.

● **قبلتها ولكن..**

« ذهبت الى زيارة الاستاذ سنة ١٩٥٣. وسألني عن الشيخ طاهر (وهو من مدينة بتليس) فأجبته انه قد ارتحل الى الآخرة.

فقام الاستاذ من فراشه واصلح من هندامه واستعد للدعاء. وقال:

– اللهم اسعده برحمتك. انه كان يجمع مؤلفاتي عندما كان الناس ينفرون منها. انه حافظ عليها باخلاص.

ثم التفت اليّ وقال:

– ارجو ان تكتب الى اهله برقية عزاء باسمي حالما تصل الى هناك وتبين فيها مشاركتي لاحزانهم.

وفي زيارة اخرى، عندما كان الاستاذ في فندق (آق شهر) اخذت معي زوجاً من الجوارب من صنع مدينة بتليس هدية للاستاذ. فقلت له:

– استاذي .. ارجو ان تقبلها مني هدية متواضعة، فهي من مدينة (بتليس)! فاخذها بيده، ثم قال:

– لقد قبلت هديتك واخذتها، ولكن البسها انت بدلاً عني»[١٨].

● **طريقة!**

«في عام ١٩٥٣ ذهبت الى زيارة الاستاذ في (اورفة) لاحقق املي في زيارته اذ كنت على رغبة في اخذ الطريقة (اي البيعة حسب العادة المتبعة في الطرق الصوفية) فعندما وصلت مدينة (اورفة) كان الوقت وقت الضحى وكنت حينذاك في السادسة عشرة من عمري قوي الجسم رشيق البدن نشيطاً. ولكن كنت خجولاً جداً.

---

(١٨) Son Şahitler ٣ / ٤٠٥ من فكرت اوزدمير.

وكان هناك في (اورفة) اثنان من طلاب النور (وهما حسني وعبدالله يگن) فكنت خجلاً ماذا افعل معهم وماذا اقول لهم عندما ادخل عليهم؟ لكنني تشجعت فدخلت الغرفة وانا اشعر باحراج شديد وقلت: «السلام عليكم ورحمة الله» فجلست على سجادة قديمة جداً مفروشة على قطعة خشبية. كان احدهم شاباً والآخر اكبر منه سناً فقال لي:

– اهلاً وسهلاً بك يا اخي.

كان الشاب (حسني) يكتب باستمرار بينما اخذ الاخ (عبدالله يگن) معي اطراف الحديث، وبعد قليل من الحديث قلت:

– انني اريد ان اذهب لزيارة الشيخ (سعيد الكردي) (١٩) لآخذ الطريقة منه (اي ابايعه على السير على طريقته في السلوك والتصوف). فأرجوا ان تعطوني عنوانه. فما ان قلت هذا الكلام حتى ابتسم الاخ (عبدالله) ثم قال:

– اخي ان الاستاذ لايعطيك الطريقة ولا يأخذ منك عهداً عليها. ان مسلك رسائل النور ليس بطريقة صوفية. فقلت في نفسي انهم يمزحون معي، فلأنتظر الجواب الصحيح، واذا بالاخ (عبدالله) يبدأ بالحديث طويلاً حول هذه المسائل وقرأ عدة موضوعات من كتب موجودة امامه، ومع كل هذا لم اكن اصدق تماماً ان الاستاذ ليس صاحب طريقة صوفية، فكنت اقول في نفسي:

- ترى هل يمكن ان شيخاً ومرشداً كهذا لايكون لديه طريقة خاصة ولايعلم احداً من الناس طريقته؟

---

(١٩) كان الاستاذ يلقب بألقاب كثيرة منها: ملا سعيد، سعيد المشهور، سعيد الكردي، حتى لقب ببديع الزمان وانتشر هذا اللقب اكثر من غيره.

«لكن الاخ (عبدالله) بدأ يقنعني بكل جد واخلاص في حديث مستمر عن ماهية رسائل النور وماهية الاستاذ وطريقته واستغرق الحديث والكلام حول هذا يوماً كاملاً... وفي اثناء الحديث لم يذكر الاخ اسم «سعيد النورسي» بل كان يقول: الاستاذ، اما انا فقد كنت اقول: شيخ سعيد او ملا سعيد. ففي هذه الفترة الطويلة وبعد هذا اللقاء والكلام الطويل اقتنعت بان رسائل النور ليست طريقة صوفية»(٢٠).

* * *

(٢٠) Son Şahitler ٢٩٦/٤ من عبدالقادر بادللي.

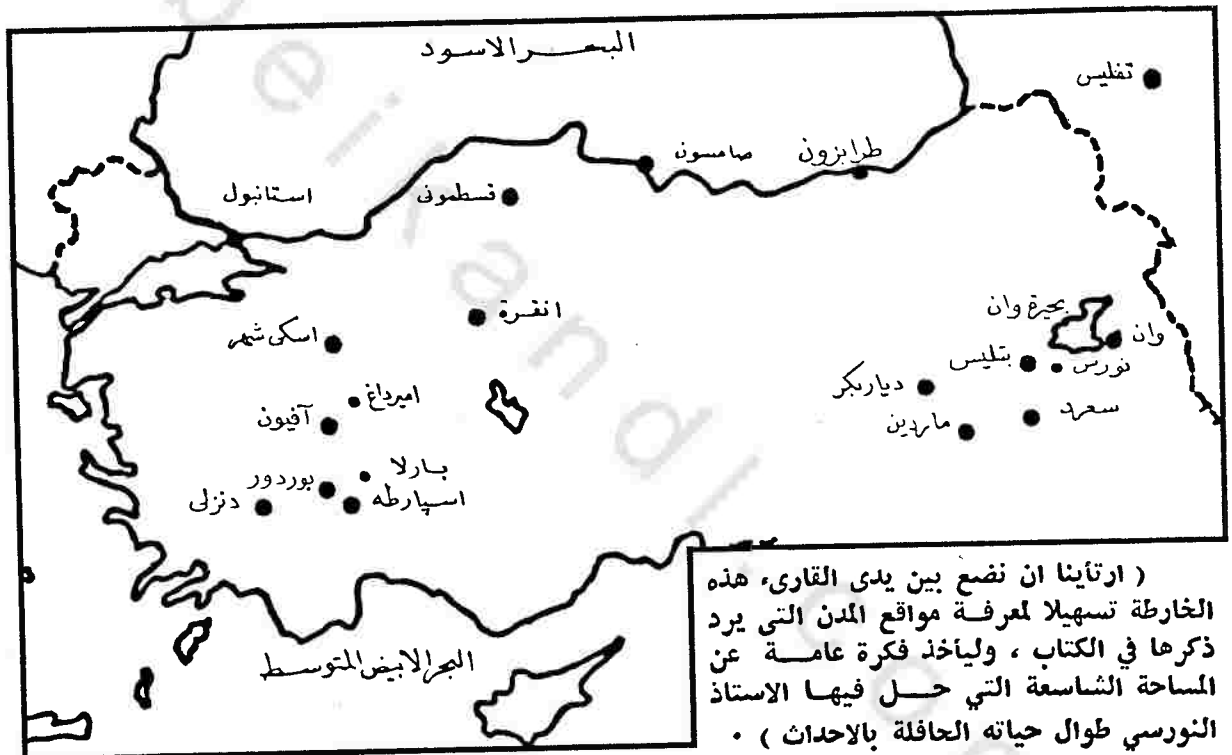

(ارتأينا ان نضع بين يدى القارىء هذه الخارطة تسهيلا لمعرفة مواقع المدن التى يرد ذكرها في الكتاب ، وليأخذ فكرة عامة عن المساحة الشاسعة التي حل فيها الاستاذ النورسي طوال حياته الحافلة بالاحداث) .

الرحيل(*)

في ١٧– ٣ –١٩٦٠ توجه الاستاذ الى (اميرداغ) في الساعة الثامنة صباحاً، وكان بصحبته الاخوة (زبير وصونكور وحسني)، وبقيت انا مع الاخ طاهري في (اسپارطة). وبعد ساعة من مغادرتهم جاءت الشرطة وطرقوا الباب يستفسرون منا:

– الى اين ذهب الاستاذ؟

– اننا لانعرف، لان الاستاذ لايخبرنا اين يقصد، فلا ندري أهو ذاهب الى (اميرداغ) ام الى (بارلا)؟.

فرجعوا حالاً واتصلوا بالهواتف مع المناطق الاخرى من ارجاء البلاد بحثاً عن الاستاذ.

في ١٩/٣/ ١٩٦٠ يوم السبت وصل الاستاذ الى (اسپارطة) وكان الوقت بعد صلاة العصر وقبلها جاء الشرطي ليستفسر عنه قائلاً:

– ان الاستاذ قد غادر (اميرداغ). قلنا لهم

– لم يأت الينا!

وفعلاً بعد مضي ساعة واحدة أتى الاستاذ بالسيارة، وما ان سمعنا تنبيه السيارة حتى نزلنا وفتحنا الكراج، ودخلت السيارة ثم قفلنا الابواب.

كان الاستاذ متمدداً على ظهره في المقعد الخلفي للسيارة والمرض قد اشتد عليه. اخذناه باحضاننا لنخرجه من السيارة. وعندما صعدنا السلم اردنا ان

(*) من بيرام يوكسل – Son Şahitler ٣/٨٣–٩٠ باختصار.

نحمله على ظهورنا، فلم يقبل. فادخلنا – انا والاخ طاهري – ايدينا تحت ابطه حتى اوصلناه الى الغرفة، واجلسناه مكانه ثم تمدد في فراشه. كانت درجة حرارته عالية جداً، لذا لم نفارقه قط، حتى اننا كنا نصلي فرادى كي نتناوب البقاء معه للرعاية والسهر عليه.

كنا نحن الاربعة (انا وزبير وحسني وطاهري) عند الاستاذ. وفي منتصف الليل كنت انا مع الاخ (زبير) نلزم الخفارة عنده. فيرخى احدنا يده ويدلكها والاخر يدلك رجليه. فنظر الاستاذ اليّ قائلاً:

– سنذهب.

– نعم سنذهب يا استاذي، ولكن الى اين؟.

– الى (اورفة)... الى (دياربكر)...

وكرر قوله: سنذهب.

ولما قلت: الى اين يااستاذي؟

– الى (اورفة).

قال الاخ (زبير): ربما يقول هذا تحت وطأة الحمى التي تنتابه!

وفي حوالي الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل بدأ الاستاذ يكرر القول نفسه:

– سنذهب في الصباح الباكر الى (اورفة)..

فكان يؤكد على (اورفة).

ثم جاء الاخ (طاهري) و(حسني) لكي يستلما دورهما في الخفارة.

وذهبنا انا والاخ (زبير) لتناول السحور (حيث كنا في العشر الاواخر من رمضان المبارك)..

ولقد قال الاستاذ ايضاً الى الاخ (حسني)

– تهيأوا للذهاب الى (اورفة).

ولكن الاخ (حسني) بين ان اطارات السيارة لاتصلح للسفر.

وكرر الاستاذ مرة اخرى:

– سنذهب الى (اورفة) مهما كلف الامر، استأجروا سيارة ولو بمائتي ليرة.. ابيع جبتي اذا اقتضى الامر.

بدأنا بتهيأة السيارة للسفر، ورأيت ان اطارات السيارة فعلاً غير صالحة، ولايمكننا الحصول على اطارات جديدة في هذا الوقت... وعندما كنا منهمكين في تهيئة السيارة جاء الاخ (طاهري) مسرعاً لمعاونتنا حيث ارسله الاستاذ الينا، واخبرنا ان الاستاذ يطلب الاسراع في الامر.

تهيأت السيارة، والاستاذ نفسه مستعد للسفر، وانا كنت انتظر الاشارة من الاستاذ كي اشاركهم في السفر، اذ كان الاخ (زبير) يقول منذ المساء:

– ليت الاخ (بايرام) يكون معنا، فيساعدنا في الطريق. فربما نجد الصعوبة دونه. لذا، لدى خروج الاستاذ من الباب سأل الاخ (زبير) من الاخ (طاهري):

– هل سيأتي بايرام ايضاً؟

فقال الاستاذ:

– نعم انه سيكون معنا.

فوضعنا الاستاذ في المقعد الخلفي من السيارة بعدما فرشنا له فراشاً عليه ليجد الراحة. وجلست مع الاخ (زبير) في المقعد الامامي مع السائق.

في ٢٠/ ٣/ ١٩٦٠ والساعة تشير الى التاسعة صباحاً، كان ثمة شرطيان يراقباننا في الشارع، حيث اشتد هجوم المعارضة على الحكومة حتى اذيع في الراديو:

«على بديع الزمان سعيد النورسي البقاء في اسپارطة او اميرداغ».

وقبل ان تتحرك السيارة جاءت صاحبة البيت (السيدة فطنة) الى سيارة الاستاذ، فودعها الاستاذ قائلاً:

– اختي! استودعكن الله نرجو دعاءكن، فانا مريض جداً..

كان الاستاذ يقول هذا بحزن شديد، حيث ان اللحظات هي لحظات فراق، حتى ان عيون صاحبة البيت طفحت بالدموع.. وقد قالت الى الاخ (طاهري):

– انني – والله – وجلة من سفر الاستاذ في هذه المرة، انه ذاهب ليبحث عن مستقره – اي قبره –.

وقبل المغادرة اوصينا الاخ (طاهري) بعدم فتح الباب لأي طارق، وليذهب لينام. فنفذ الاخ ما اوصيناه، فبدأ الشرطة يسألون من صاحبة البيت:

– ألا تعلمين، متى ذهب الاستاذ والى اين؟

فكانت تجيبهم:

– وهل انا حارسة، كيف ادري، وانتم لاتدرون..؟

كانت الامطار تهطل بغزارة اثناء مغادرتنا (اسپارطة)، وكنا نخاف كثيراً من كيد والي (قونيا) حيث كان يصرح للصحف:

– سأجتث جذور طلاب النور واقلعها من الاعماق.

لذا كنا نقرأ على طول الطريق «آية الكرسي» وباستمرار دفعاً لشره.

اشتد المطر نازلا بغزارة اكثر عند وصولنا الى (اگريدر) بحيث لم يبق احد من الشرطة في الشارع فدخلوا جميعاً الى بناية مركز الشرطة، حتى اننا مررنا من امام المركز ولم يرنا احد. وهكذا تركنا المدينة. ثم وضعنا الطين على لوحة السيارة لئلا يرانا احد من المراقبين. وبعد ان تركنا (قره اغاج) اصبح الاستاذ في عافية، فنزل من السيارة وجدد الوضوء. وبعد ان قطعنا مسافة عدة كيلومترات من هناك وقفنا على شمال الطريق عند النبع، فصلى الاستاذ فوق صخرة هناك، ثم بدأنا السير وقبل ان نصل (قونيا) انهى الاستاذ اذكاره واوراده، واستعدل في مكانه على المقعد الخلفي، ولكن ما ان وصلنا حدائق (مرام) في ضواحي (قونيا) حتى اشتد مرض الاستاذ مرة اخرى ولم يتمكن من النطق. فدخلنا المدينة واشترينا فيها الزيتون والجبن استعداداً للافطار، ودفع الاستاذ ثمنه وقال:

– ابنائي انا مريض جداً، كلوا انتم بدلاً عني.

وبفضل الله فقد وسعتنا عنايته الكريمة حيث لم يشاهدنا – والحمد لله – احد في المدينة، بل ولا في المدن التي تلت (قونيا).

وقبل وصولنا الى (ارگلي) جلس الاستاذ في مكانه ومد يديه ماسكاً اذني واذن الاخ (زبير) من الخلف قائلاً لنا:

– ابنائي، لاتخافوا ابداً، فقد قصمت رسائل النور ظهر الملحدين والشيوعيين، فرسائل النور غالبة دائماً باذن الله.

كرر هذا القول عدة مرات، وكان صوته واطئاً جداً بحيث لانكاد نسمعه، ثم قال:

«هؤلاء لم يفهموني ، هؤلاء لم يفهموني، هؤلاء لم يفهموني، هؤلاء ارادوا ان يلوثوني بالسياسة».

ثم ترجلنا من السيارة اداء لصلاة العصر. ولكن الاستاذ ظل داخل السيارة وصلى هناك.

وعندما حان وقت المغرب وصلنا (اولوقشلة) فقال الاستاذ:

– هل لنا بشئ من الاكل؟

فنزلنا – انا والاخ (زبير) – واشترينا من المطعم قليلاً من الرز، واردنا ان نهئ الطعام، ولكن الموقد الذي نحمله ما كان يصلح للغرض، فأخذنا موقد حارس سكة الحديد هناك.. كان الجو بارداً جداً، فتوسلت بالحارس ليستأجرنا موقده وقلت له ان معنا شيخ مريض وان موقدنا قد عطب. فرضي الحارس.

بدأنا نحضر الطعام، ظل الاخ (زبير) مع الاستاذ داخل السيارة. وضعنا قليلاً جداً من الزبدة والبيض مع شئ من اللبن، فأخذ الاستاذ ملعقة منه ليضعه في فمه ولكنه لم يستطع الاكل ، لانسداد بلعومه من شدة المرض.

مررنا من (ادنه) ليلاً ثم من (جيحان)، وصلينا العشاء في ضواحيها. ثم استرخى الاخ (حسني) لينام ساعة حيث كان يقود السيارة باستمرار. وعند السحور وصلنا (العثمانية) ودخلناها لنزود السيارة بالوقود، ولنتناول السحور، الا ان الاستاذ لم يذق شيئاً قط. ثم اقمنا صلاة الفجر قرب (المان پنارى) والاستاذ لم يغادر السيارة. كانوا يطلقون على هذا الجبل سابقاً (كاوورداغى) – اي جبل الكفر – والآن يطلقون عليه (نور داغى) اي جبل النور.

وعند انبلاج الصباح وصلنا (غازي عنتاب) فاشتريت من المطعم شيئاً من الحساء وسألت عن الطريق الى (نزيب)، حيث كانت الثلوج والامطار تتساقط

بشدة. وكان الطريق محفوفاً بالمخاطر فترى السيارات عاطلة على جانبي الطريق، اما سيارتنا – والفضل لله – فكانت تسبق الريح ولم تتعطل لا في اطاراتها ولا في محركها والحمد لله.

وعندما وصلنا الى (اورفة) كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة وكان الاخ (حسني) على معرفة جيدة بشوارع (اورفة).. دنونا من مسجد (قاضي اوغلو) الذي كان الاخ (عبدالله يگن) يتواجد فيه، فاوقفنا السيارة قرب المسجد، واسرع الاخ (زبير) الى المسجد لابلاغ الاخ (عبدالله) بقدوم الاستاذ، وعندها قال الاستاذ:

– لنسرع باذهاب فلامتسع لنا للانتظار.

جاء الاخ (زبير) ومعه الاخ (عبدالله) مسرعاً الى السيارة، فطلبنا من الاخ (عبدالله) ان يدلنا على فندق نظيف جداً، فدلنا على فندق (ايپك پالاس).

حملنا الاستاذ معاً وصعدنا به الى الطابق الثالث حيث الغرفة رقم (٢٧) ووضعناه على فراشه ليرتاح قليلاً من عناء هذا السفر الطويل.

اما اهالي (اورفة) فقد كانوا منهمكين بتلاوة القرآن الكريم وختمه، نظراً لاننا كنا في شهر رمضان المبارك. وما ان سمعوا بقدوم الاستاذ الى مدينتهم حتى هرعوا الى الفندق وعاتبنا الكثيرون من عدم اخبارنا لهم مسبقاً بمجئ الاستاذ ليستقبلوه...

بدأ الناس يتقاطرون من كل مكان لزيارة الاستاذ. كان الاخ (زبير) جالساً على باب الغرفة، يسمح لهم بالدخول واحداً واحداً، اما انا فقد كنت امسك بيد الاستاذ وهم يقبلونها، والاستاذ يقبل رؤوسهم، وما كان الاستاذ يرغب مغادرتهم بينما كنت اقول لهم ارجو ان تخرجوا من الغرفة ليتسنى لغيركم المجئ الى الاستاذ، فكانوا يخاطبونني:

– الاترى ان الاستاذ لا يرغب في ذلك.

لقد كنا فعلاً في حيرة من هذا الموقف من الاستاذ حيث لم نكن قد رأينا مثله من قبل، فما كان الاستاذ ليسمح لأحد بالبقاء عنده سواء أكان في (اسپارطة) ام في (اميرداغ)، حتى اننا عندما كنا في (اسپارطة) ومرض الاستاذ، فقلت له:

– يااستاذي هل ابلغ الاخوان بمرضك؟

قال: لا لايأتي احد اليّ دونكم.

بينما هنا في هذه المدينة، لم يكن يردّ احداً، بل كان يضمهم الى صدره، فقد اتى لزيارته اهالي المدينة كلهم، ومن الاصناف كافة، ولم يرد الاستاذ احداً منهم. بل كان يتحمل محتسباً ولم يسترح بل لم يذق طعم النوم. وكذلك نحن لم يجد النوم الى عيوننا سبيلا.

استلمت دوري من الاخ (زبير) فجلست امام الباب، وجاء في الحال شرطيان اثنان قال احدهما:

– تهيأوا للذهاب! اين السائق؟

اجبتهم:

– الاستاذ مريض جداً.

ثم جاء احد عشر شرطياً وقالوا:

– تهيأوا حالا! ستذهبون الى (اسپارطة) في الحال.

قلت لهم:

– سأبلغ الاستاذ بالامر.

دخلت على الاستاذ واخبرته بالامر، فسمح لهم بالدخول اليه، فقالوا:

– ان رجوعكم الى (اسپارطة) امر صادر من وزارة الداخلية.

قال لهم الاستاذ:

– يا للعجب! لقد اتيت هنا لكي اموت فيه، وربما سأموت، وها انتم ترون حالي، دافعوا عني.

قال احدهم:

– نحن تحت اوامر السلطة ، ماذا نعمل؟

ثم جاءوا بالاخ (حسني) مع سيارته امام الفندق، ليأخذ الاستاذ، وبدأ الناس بالتجمهر امام الفندق. وصرخ صاحب الفندق من اعلى السلم على الشرطي:

– انه ضيفي. كيف يجوز لكم ان تأخذوه مني؟

كان الناس في هياج شديد، حتى اخذوا يهتفون قائلين: كيف يؤخذ ضيف كريم مثل الاستاذ وهو على فراش الموت.

اصبح الناس في حالة لاتسمح بالشرطة للصعود الى الفندق، وبدأوا يرجون من السائق ان يبعد السيارة من باب الفندق، ففعل، وعندها هدأ الناس قليلاً وبدأوا بزيارة الاستاذ مرة اخرى. فجاء موظفوا الدولة والشرطة والعسكريون من جنود وضباط واعضاء الاحزاب.. كلهم لزيارة الاستاذ.

ثم بدأ اصرار الشرطة على مقابلة الاستاذ وابلاغه بأن الامر صادر من الجهات العليا وان علينا الخروج من (اورفة) حالا. وقالوا:

– ان كنتم لاتغادرون المدينة بسيارتكم فسنأخذكم بسيارة اسعاف.

فأجبناهم:

– ان استاذنا مريض، وان مرضه شديد جداً، لايستطيع ان يتحمل قطع مسافة يوم كامل في السفر مرة اخرى. فضلا عن اننا لانتدخل في اموره، وبخاصة وهو في هذه الحالة التي هي اشبه ما تكون بالموت.

قال احدهم:

– ان الامر قطعي لامرد له، فهو امر وزاري، فكما جاء استاذكم الى هذه المدينة سيرجع كذلك. اخرجوا من (اورفة) حالا.

قلنا:

ـ نحن لانتدخل في امور الاستاذ، تعالوا قابلوه انتم بانفسكم واعرضوا عليه مطالبكم فان قال لنا: نذهب، فنحن ذاهبون، لاننا لانرد قوله ابداً ولايمكن ان نبلغه ما تقولونه.

فاستشاطوا غضباً وقالوا:

– ما هذا؟ الا تقدرون ان تقولوا له الشئ البسيط؟

– نعم! نحن لانقول له شيئاً، وكل ما يقوله ننفذه حرفياً.

قالوا:

ونحن ايضاً مرتبطون بالاوامر الرسمية هكذا، فيجب ان تتركوا (اورفة) في مدة اقصاها ساعتان، وترجعوا الى (اسبارطة).

وعندما سمع الناس بقضية اخراج الاستاذ من (اورفة) احتشد نحواً من ستة آلاف شخص امام الفندق، وعندها ذهبنا الى المستشفى لنخبر رئيس الصحة بحالة الاستاذ الصحية وانه لايستطيع السفر، وطلبنا منه اجراء الفحص على الاستاذ بنفسه.

اجرى الطبيب الفحص ثم التفت الينا:

– كيف تجرأتم على جلب الاستاذ الى هنا، فدرجة حرارته عالية، وهو في حالة لايمكن تحريكه مطلقاً. تعالوا معي لازودكم بتقرير لجنة الاطباء بأنه لايمكن ان يحرك من مكانه..

نفدت طاقتي كلياً بعد صلاة المغرب من كثرة الوقوف والسهر والتعب، فقلت للاخ (زبير):

– انني متعب جداً، فلقد انهكني الوقوف. قال:

– اذهب ونم في الغرفة.

فذهبت ونمت حوالي ساعتين. ثم جاء الاخ (زبير) الى الغرفة وقال:

– اخي انني قد نفد صبري، لم اغمض عيني هذا الاسبوع قط..

– تعال لنتناوب..

صلينا العشاء، ثم نام الاخ (زبير). بقيت انا والاخ (حسني) عند الاستاذ.

ثم قال الاخ (حسني):

– ان رجليّ بدأتا تؤلمانني من الوقوف والسهر. اريد ان ارتاح قليلاً.

قلت:

– انني مرتاح الآن، اذهب انت ايضاً للنوم.

بقيت وحدي عند الاستاذ.

وكان الاستاذ قد طلب منذ الصباح الباكر قطعة ثلج، لما كان يشعر به من شدة الحرارة، فبحثنا عن الثلج ولم نحصل عليه. وعندما حان الليل جاء بعض الاصدقاء وقد حصلوا على الثلج. فقلت:

– استاذي لقد حصلوا على الثلج!

فاشار بالرفض.

– استاذي هل احضر الشاي؟

فاشار بالرفض.

وعندما اشارت الساعة الى الثانية والنصف ليلاً بدأت شفاه الاستاذ بالجفاف، وكنت ابللها بمنديل. ثم كلما كنت اريد ان اغطيه يرفض، واستمر هكذا لفترة قصيرة.. اسدلت على المصباح شيئاً ليخفت ضوءه، لئلا يقلق راحة الاستاذ..

بدأت ارخى ساعديه فضمني اليه، ثم وضع يده صدره، واستسلم للنوم.. فاشعلت المدفأة، وحيث كنت اظنه نائماً انتظرت ان يصحو على السحور، فكنت اقول في نفسي سوف يأتي الاخوة الاخرون ونتناول السحور معاً. فوا سذاجتاه لم اكن اعلم ان الاستاذ قد فارقنا، وانه قد انتقل الى عالم الخلود، واغمض عينه عن هذه الدنيا الفانية.

لم اكن قد رأيت سابقاً مثل هذه الحالة! فانّى لي ان اعلم!

مضى وقت السحور كثيراً، وجاء الاخ (حسني) مع الاخ (عبدالله) وقالا:

– لقد نمنا كثيراً واطلنا فيه.

قلت:

– سأذهب الى الغرفة المجاورة لأصلي الفجر، فلا تحركوا ساكناً لان الاستاذ نائم.

ذهبت الى الغرفة، صليت الفجر، قرأت الاذكار والاوراد اليومية، مع جزء من القرآن الكريم، وما ان اردت ان اطبق جفني لأنام حتى جاء الاخوة:

– يا اخانا، ان الاستاذ لايحرك ساكناً.

– الاستاذ نائم فلا توقظوه.

ثم جاؤا مرة اخرى وقالوا:

– ان الاستاذ لايتحرك ابداً..

ذهبنا معاً الى غرفة الاستاذ. جلس الاخ (زبير) بجانب رأسه ونحن الاربعة ننظر اليه، وليس للاستاذ اية علامة للحركة. ولكن درجة حرارته اعتيادية! فاضطربنا كثيراً. وقال الاخ (زبير):

– هذه الحالات تتكرر كثيراً لدى الاستاذ.

فخيم علينا الحزن، وعندها قال الاخ (زبير):

– هناك شخص يعرف مثل هذه القضايا اسمه (عمر افندي الواعظ).

وحالما اتى الرجل ورأى وضع الاستاذ قال:

– [إنّا لله وإنّا اليه راجعون]، اخواني ان الاستاذ قد مات.

لم اكن اصدق عيني بوفاة الاستاذ قطعاً. اذ عندما كنا في سجن (آفيون) سنة ١٩٤٩ سمموا الاستاذ، فاحمر لسانه، فكنا نبكي بلا توقف على حاله، وعندها قال الاخ (احمد فيضي) رحمه الله:

– لماذا تبكون يا اطفال! ان حياة الاستاذ طويلة!.

وهنا ايضاً تذكرت قول الاخ (احمد فيضي) مسلياً نفسي: ترى هل ان عمر الاستاذ يطول؟.

هرع الاخوان ليبعثوا بالخبر الى ولايات مختلفة من ارجاء البلاد.

سجينا الاستاذ بنسيج قطني رقيق. وبعد هنيهة جاء صاحب الفندق، ولما نظر الى الاستاذ علم انه قد توفي واخذ يضرب على فخذيه ويصرخ.

وعلى اثره جاء مدير الامن واستفسر عن اضطراب صاحب الفندق. فأجابه:

– ان بديع الزمان قد مات.

– هل حقاً انه مات!

– نعم!

فانسحب الشرطة كلهم من امام الفندق، وجاء الطبيب الخاص ليتأكد من حالة الوفاة وقال:

– الله.. الله.. ان درجة حرارته مرتفعة جداً، هل لديكم مرآة؟

فوضع المرآة على فم الاستاذ، وتأكد من عدم تنفسه وانقطاعه كلياً، ثم قال:

– نعم انه ميت! ولكن لاتشبه حالته حالة وقاة.. انني اشك فيه، ولاارى دفنه في الحال.

ثم كتب تقريره للمسؤولين.

ثم جاء قاضي التركات، وبدأ يثبت ما ورثه الاستاذ فكان:

ساعة، وسجادة ولفاف الرأس، وجبة. فاعطى كلها لأخيه عبدالمجيد.

بدأت الوف من اهالي (اورفة) يحتشدون امام باب الفندق، واخبروا الولايات الاخرى كلها بهذا النبأ الفاجع.

اخذ نعش الاستاذ من الفندق من بعد صلاة الظهر الى غسله في (درگاه) ووصلنا اليه بعد ساعتين او اكثر حيث الازدحام كان شديداً جداً فقد اغلق اهالي (اورفة) محلاتهم. ولما ذهبوا بنعش الاستاذ أغمي عليّ وعلى الاخ (حسني).

فخاطبنا الاخ (عبدالله).

– هل انتم اطفال.. افيقوا!

ولدى وصولنا الى (درگاه) ليتم غسل الاستاذ، كان الازدحام لايطاق حتى تعذر الدخول الى هناك، ومع ذلك دخلنا واستطعنا ان نغسل الاستاذ هناك، وقام بغسله (ملا حميد افندي) وهو من علماء (اورفة) المعروفين[1].

وساعدنا في الغسل الاخوان (زبير وحسني وعبدالله وخلوصي).

وبعدما تم الغسل اخذنا نعشه الطاهر الى (اولو جامع) كي نختم على روحه القرآن الكريم. ظلت الجنازة في تلك الليلة في الجامع، وما ان تنفس الصبح حتى اصبح الازدحام في (اورفة) شديداً جداً حيث اتى الناس من كل

(١) يروي (ملاحميد افندي) هذه الخاطرة:

« كنت معتكفاً في جامع (قاضي اوغلو) ورأيت في الرؤيا ان الاستاذ يقول لي:

. عليك بحضور جنازتي، والقيام بغسلي، لاني سأموت.

قلت له: انه لايجوز للمعتكف الخروج من الاعتكاف ياستاذي! فماذا اعمل؟.

قال: انظر الى صحيفة كذا من (ملتقى الابحر) فهناك ترى الجواز.

ولما استيقظت من النوم، اخذت الكتاب المذكور بسرعة وانا بعد تحت تأثير الرؤيا، وفتحت الصفحة نفسها واذا ما قاله الاستاذ نفسه. وعلى هذا فقد نلت شرف غسل جنازته ». Bilinmeyen Taraflarıyle ص/٤٢٤.

انحاء تركيا. وقرأ الجميع الختمة القرآنية حتى الصباح واهدوا ثوابها الى روح الاستاذ.

ولشدة الازدحام فقد قدرنا انه لن يتيسر الدفن في هذا اليوم... فاستدعانا الوالي، وبدأ يرجو منا ويلح بأن تدفن الاستاذ اليوم بعد صلاة العصر بدلا من يوم الجمعة لان الازدحام اصبح لايطاق في المدينة.

وفي الحال اعلن عن ان صلاة الجنازة ستقام يوم الخميس بعد صلاة العصر.

حضر الوالي نفسه ورئيس البلدية واقاموا صلاة الجنازة.

ولقد اندهشنا من ظاهرة عجيبة وهي انه: عندما كان الاستاذ يُغسل كانت الامطار تتساقط رذاذاً وشاهدنا عندها طيوراً ذات اشكال غريبة والوان زاهية. وباعداد هائلة جداً.

وهكذا دفن الاستاذ يوم الخميس بعد صلاة العصر. ولم يستطع كثير من الناس حضور تشييع الجنازة الا من جاء بسيارات خصوصية. فلم يلحق من كانوا في (اميرداغ) ومنهم الاخ (جايلان) فلقد حزن هذا الاخ حزناً عميقاً على تأخره عن الجنازة وقال:

– لقد خدمت الاستاذ سنوات طوالا واليوم ياللاسف لم احضر وفاته!!

● **الخاطرة الاخيرة:**

يقول عبدالمجيد شقيق الاستاذ:

«بعد مرور خمسة اشهر على وفاة شقيقي استدعيت الى ديوان الوالي في (قونيا). شاهدت هناك ثلاثة جنرالات معه. خاطبني احدهم:

لايخفى عليكم اننا نعيش ظروفاً حرجة، فالزوار من الولايات الى قبر شقيقكم يزدادون يوماً بعد يوم، فنحن نريد ان ننقل رفاته – بمعاونتكم – الى اواسط الاناضول. فنرجو توقيع هذا الطلب. ومدوا اليّ بورقة طلب باسمي،

قلت بعد قراءتها: ولكني لم اطلب هذا... ارجوكم دعوه ليرتاح في الاقل في قبره! اصروا على موقفهم وقالوا:

لامناص من الامر.

توجهنا – بعد توقيع الطلب – الى المطار فأقلتنا طائرة عسكرية الى (اورفة)، وفي الثالثة ليلاً ذهبنا الى المقبرة... كان هناك تابوتان في صحن الجامع مع بعض الجنود. اقترب الطبيب العسكري مني قائلاً:

– لاتقلق سننقل الاستاذ الى الاناضول.

وعلى اثر هذا الكلام اجهشت بالبكاء فلم اتمالك نفسي. امر الطبيب الجنود بهدم القبر. فكانوا يترددون ويخشون سخط الله عليهم.

فقال الطبيب: نحن مأمورون وليس امامنا سوى التنفيذ، فقاموا بهدم القبر واخراج التابوت منه. وعندما فتحوا التابوت. قلت في نفسي: لابد ان عظام اخي الحبيب قد اصبحت رماداً. ولكن ما ان لمست الكفن حتى خيل لي انه قد توفي امس. كان الكفن سليماً الا انه مصفر قليلاً من جهة الرأس. وكانت هناك بقعة واحدة على شكل قطرة ماء. وعندما كشف الطبيب عن وجهه، نظرت اليه واذا عليه شبه ابتسامة. احتضنا ذلك الاستاذ العظيم ووضعناه في التابوت الآخر. واخذناه الى المطار. كانت الشوارع خالية من الاهلين ومليئة بالجنود المدججين بالسلاح، حيث اعلن منع التجول في المدينة. جلست بجانب التابوت في الطائرة والحزن والاسى يملآن قلبي. والدموع تملأ عيناي. اتجهت الطائرة الى (آفيون) ومنها نقل التابوت بسيارة اسعاف الى (اسپارطة) حيث دفن في مكان لايزال مجهولاً»(٢).

---

(٢) Bilinmeyen Taraflarıyla ص/٤٣٧. ولعل هذا استجابة القدر الالهي لما تمناه الاستاذ واوصى طلابه بالاّ يعرف موضع قبره الا النزر اليسير من الطلاب.

obeikandl.com

المصادر

1- Son Şahitler Bediuzzaman Said Nursiyi Anlatiyor. N.Sahiner. Yeni Asya Yayinlari. Ist. 1994.

2- Bilinmeyen Taraflariyla Bediuzzaman Said Nursi. N.Sahiner. Yeni Asya Yayinlari. Ist.1976. Baski. 4

3- Risale-i Nur Kulliyati Muellifi Bediuzzaman Said Nursi. Sozler Yayinevi 1976 Ist.

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

محتوى الكتاب

تقديم ٥

ملاحظة ٨

ذكريات من وان ٩

تسبيحات الاستاذ ١٠

شاركني في الدعاء ١٠

لا راحة بعد اليوم ١١

كيف كان يقضي اوقاته ١١

الارزاق في المزارع ١٢

ممن تخاف؟ ١٣

لم يؤذ حتى النملة ١٤

نظرة حرام ١٥

طلب العلم ١٧

اصلاح الأسس ١٨

خدمة خالصة لله ١٨

موافقة لطيفة ١٩

عالم لا شيخ ١٩

لسنا خونة ٢١
سر الزي غير المعتاد ٢٢
هدمت بيته ٢٢
حق المعدة ٢٥
أخفقت الخطة ٢٦
أمامكم سعيد جديد ٢٧
حياة كلها عمل ٢٧
ذكريات من بارلا ٢٩
الله أكبر ٣٠
الصديق سليمان ٣٢
بريد النور ٣٣
الملائكة يلتقطون صوركم ٣٣
حفظ الإيمان لا حفظ الطريقة ٣٤
مكتوبات ٣٥
التجويد المعنوي ٣٦
كرامة قرآنية ٣٦
موقع الكرامة من خدمة القرآن ٣٧
ذكريات من قسطمونى ٣٩
أثر التواضع ٤٠
رزق طلاب العلوم ٤١
لا ترتبطوا بي ٤٢

اهمال الأمور الجانبية ٤٣
القول اللين ٤٤
لا خير في الاسراف ٤٥
بيع الفراش ٤٦
جزاء الإيذاء ٤٨
قبل أذان الفجر ٥٠
الجوارب الضائعة ٥١
حادثة التسمم ٥١

١٩٥٠ - ١٩٦٠

بداية تعارف ٥٦
بل خادماً للقرآن ٥٦
الصلاة في أوقاتها ٥٨
أذكار الليل ٦٠
تجنب الفتن ٦٠
ليالي رمضان ٦١
الأشهر الثلاثة ٦٢
بيع الجريدة ٦٢
لا تعب في الخدمة ٦٣
لا حياة لنصف إنسان ٦٤
لا أعمل بالرؤيا ٦٥
احساس مرهف ٦٥

خدمة الإيمان ٦٦
حسن الظن ٦٧
كيف كانت الرسائل تكتب؟ ٦٩
مرض العصر ٦٩
مزيداً من القراءة ٧٠
لذة العلم ٧٢
قاعدة في القراءة ٧٣
كان يعلمنا كيف نفكر ٧٤
زيارة المقابر ٧٤
مطالعة الكون ٧٥
دروس النور والسياسة ٧٧
حديث الأستاذ ٧٨
تأليف رسالة ٧٩
الحذر ٧٩
خمس ساعات ٨٠
دأبة مع طلابه: الاستشارة ٨٠
تهنئة الطلاب ٨١
نظرة غير اعتيادية ٨٢
جنود في الخدمة ٨٣
الأستاذ يربي النفوس ٨٤
التأويل المطلوب ٨٥

قصتي مع رسائل النور ٨٧
أنا لا شيء ٨٨
أرفض الثناء ٨٩
حلوى الدرس ٩٠
ترجمة إشارات الإعجاز ٩٠
الباب المفتوح ٩٢
الطالب الأمثل في خدمة القرآن ٩٣
الكمية تخدع ٩٤
الإيمان أولاً ٩٥
كرامة الحقائق الإيمانية ٩٦
قبلتها ولكن ٩٩
طريقة ٩٩
الرحيل ١٠٣
الخاطرة الأخيرة ١١٨
المصادر ١٢٠

* * *

رقم الإيداع ١٥٤٦/ ١٩٩٧
ISBN
977-294-000-0

obeikandl.com